فريدة

حين جف رحيقها .. أزهرت

عنـوان الكتـاب: فريـــــــــــــــدة
حين جف رحيقها.. أزهرت
الموضـــــــوع: روايـــــــــــــــة
التـأليـــــــف: هـــــــدير نهـــــــاد
إخـــراج فنـــي: عمـــرو ســـالم ســـواح
تصـميم الغـلاف: باســـــم مـــــدحت
رقـــم الإيـــداع: 2019/ 27213
التـرقيم الـدولي: 978 -977 -6639 -79-9
الناشـــــــــر: دار تويتـة للنشـر والتوزيـع
www.facebook.com/Tweetforpublish
tweetpublishing2017@gmail.com
٧ش محمد أبوالعطا- محطة العريش-فيصل- الجيزة
رئيس مجلس الإدارة: م/ أحمد عبد العزيز
المدير العام: أ/ رشا العمري
01017799799
01225762066
تويتة Tweeta
للنشر و التوزيع
#غرّد_للعالم
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

فريدة

حين جف رحيقها.. أزهرت

رواية

هدير نهاد

الإهداء

- إلى أبي وأمي أهدي لكما كتابي الأول، علشان أقول لكم شكرًا على كل حاجة عملتوها علشاني، ربنا يطول لي في عمركم ويجعلكم دايمًا جنبي.
- إلى روان، توأم الروح وعكازي في الحياة، شكرًا على إنك بتكوني هنا دايمًا، شكرًا علشان أنا من غيرك ما كنتش هعرف اكتشف نفسي، دمتي ضوء بينورني.
- إلى هبة، إلى أكتر حد مؤمن بيا في الحياة دي وأكتر حد بيقف جنبي، أنتِ أعظم بكتير من اللي ظاهر لك، دمتي لي حتى نشيب سويًّا.
- إلى نوران مصدر الحب وأكتر واحدة ساعدتني في الكتاب ومشيت معايا خطوة بخطوة لحد ما وصل للنور، ممتنة ليكي بكل الحب اللي في الدنيا.
- إلى السوشيال ميديا اللي عرفتني على علاقة دايمة ل أكتر من ٥ سنين من غير ما نتقابل، فاطمة، أنت أحسن وأنضف حاجة ممكن تكون في حياتي
-إلى كل صحابي اللي سندوني ووقفوا جنبي ودعموني بكل اللي يقدروا عليه انتو المعنى الحقيقي للصداقة. بحبكم، دمتم خير صحبة.

"إلى من لم تسع المدن قلوبهم رغم وسعها، إلى من لم يكن لديهم من يسمعهم ويبقى بجانبهم، إلى من كان أهلهم جزء في تحطيم شيئًا بداخلهم، إلى العاصي والمتمرد، إلى من يشعر بالذنب، إلى من تركه حبيبه في وسط الطريق، إلى العاشق وإلى الحزين، وإلى من لا يشعر بشيء".

(١)

جلست على حافة السرير، بعد أن تشاجرت مع والدتها على اللا شيء، نظرت إلى نفّسها وبدأت ببث فكرة أنها بخير وأن كل ما يحدث سوف يمر، وحاولت أن تقتنع بأن الحياة ليست سوداء طيلة الوقت، ثم ضمت نفسها وبدأت في البكاء قائلة: "أنا ليه كل ما بقربلهم بيبعدوا، ليه دايمًا ببقى الطرف اللي بيبذل جهد ف كل حاجة، ليه دايمًا ببقى بالنسبة ليهم زيادة عدد؟ ليه بهتم باأصغر تفاصيلهم وهما حتى مبيلاحظوش أكبر تفاصيلي، ليه دايمًا بيتعاملوا كأني مش مهمة، ليه أنا دايمًا مش مهمة؟ ليه دايمًا بستحمل وأنا محدش بيستحملني؟ ليه دايمًا بفضل للأخر ومحدش فيهم فكر إنه يمشي معايا خطوة..

كان بداخلها شعور أنها تُريد اأن تستمع إلى اجابة، ظلت تبكي على أمل أن يأتي أحد ويفسر لها لِمَ يحدث معها كُل هذا ولكنها كانت تتحدث إلى نفسها ككل مرة، ف قررت أن تهرب من هذا العالم الوحشي وتذهب إلى النوم..

في صباح اليوم التالي دخلت والدتها كي تخبرها أن أصدقائها بالخارج ويطلبون مقابلتها، ف خرجت إليهم وما أن رأتهم حتى أرتمت بأحضانهم وظلت تبكي، حتى إنها تناست تمامًا ما كانت تتوجع من أجله ليلة أمس، طلبوا منها أن تسامحهم على ما كانوا يفعلون بها وظلوا يرددون لها الكثير من عبارات الأسف ف ابتسمت لهم ثم تفوهت إحداهن قائلة:

_ياللا نبدأ من جديد ونكون كلنا واحد قوموا نخرج وننسى كل اللي فات.

وافقن جميعهن على الفور حتى هي.

(٢)

طرقت الأم باب الغرفة ولم تتلقى أي جواب، كساها القلق ف دخلت على الفور لتجد ابنتها فاقدة للوعي حاولت إفاقتها أكثر من مرة لكن لا جدوى، ذهبت بها إلى المستشفى التي بجانب المنزل، لتتفاجأ أن ابنتها في غيبوبة ولم يعلم الطبيب أي سبب لدخولها في تلك الحالة، ف نظرت له ويعلو على وجهها علامات القلق

_يعني إيه يا دكتور؟!!

- يعني بنت حضرتك في غيبوبة ومش عارفين إيه السبب هنخليها على الأجهزة ولما تفوق هنعملها شوية فحوصات يمكن نوصل لحل.

بعدما ذهبت مع أصدقائها لم تكن تتوقع أن تشعر بمثل هذه الفرحة من قبل شعرت وكأنها تجلس بينهن من جديد، كان بداخلها صوتٍ يردد لها أنهن حقًا قد تغيروا، ذهبوا لأماكن عديدة والتقطوا بعض الصور التذكارية وفي نهاية اليوم عادت إلى منزلها ثم ذهبت إلى غرفة والدتها مسرعة.

_الله الله من زمان مشفناش الضحكة دي ياقمر.

-حاسه أني طايرة يأمي، حسا أن كل حاجة كان نفسي أحققها وأحس بيها حصلت انهاردة، ده حتى يوسف كلمني انهاردة وفهمني كل اللي حصل وطلعت أنا اللي فهمت غلط ومكانش هيبعد عني أنا بس اللي اتسرعت، عارفة؟ زي ما يكونوا كانوا بيكسروني طول الفترة اللي فاتت دي وصلحوني انهاردة بطريقة أنا مكنتش اتخيلها.

_ربنا يبعد عنك العين يا حبيبتي، بس على فكرة أنا بحبك أكتر منهم برضه..

-هو أنا حد يقدر يحبني زيك يا ست الكل؟ تصبحيلي على خير.

غدت في نوم عميق لم تكن تتخيل أن تشعر ب ارتياح هكذا من ذي قبل، في صباح اليوم التالي شعرت ب آلام تسير في جسدها وشعرت بثقل جسدها فتحت عيناها ووجدت نفسها بداخل غرفة بيضاء وفي يدها أشياء غريبة ووالدتها تجلس في ركن بعيد وفي يدها المصحف وتبكي حاولت القيام ولكن لم تستطع قامت والدتها على الفور وطلبت الطبيب:

_حمدلله على سلامتك احنا كنا خايفين تطولي معانا شوية.

' نظرت له بتساؤل مندهشة'

-أنا فين أنا فين يا ماما؟؟!

_أهدي يا فريدة أنتي من ساعت ما رجعتي البيت تعبانة وأنا صحيت الصبح لقيتك مغمي عليكي ومن وقتها وأنتِ محجوزة ف المستشفى.

-ازاي يا أمي؟ أنا اول امبارح كنت تعبانة وبعدين امبارح كنت مع صحابي ويوسف ومكنتش زعلانة ولا حاجة.

ضمتني إليها وهي تبكي وتقول:

_يا حبيبتي اللي بتقوليه ده عدى عليه اسبوعين ومن وقتها وأنتِ هنا ومكنش فيه صحابك ولا يوسف ولا حد.

-يعني ايه؟ يعني ده كله وهم؟ كان حلم! كان ف خيالي وبس؟ يعني يوسف لسا بعيد؟ يعني هما طلعوا بيلعبوا بيا فعلا؟ يعني مفيش حاجة اتصلحت؟

'قالت تلك الكلمات ثم دخلت في حالة انهيار، حزنت والدتها على حال ابنتها ثم ازداد الحزن عندما تذكرت إنه لا يوجد أحد سأل عليها طوال مدة مرضها'.

بعد اجراء الفحوصات اللازمة لم يعثروا على سبب لمرض فريدة ف طلب الطبيب من والدتها أن تعرضها على أحد الأطباء النفسيين لعل شيء ما تعرضت له تسبب في هذه الازمة ثم رشح لها صديقه الدكتور نادر وقال أنه من أكفأ الأطباء، وبعد يومين كتب لها على الخروج من المستشفى.

عدت إلى المنزل، مر أسبوعين على خروجي من المستشفى ولم يتحسن شيء، باتت أمي تقنعني بفكرة الطبيب النفسي ولكني كنت أرفض بشدة، هي لم تتفهم أن ما بي ليس بمرض، لا أحد يشعر بما أشعر به مهما تحدثت عنه، لذلك فضلت الجلوس في غرفتي بعيدًا عن الضوضاء، امتنعت عن الطعام والشراب كما أنني اصبحت نادرة التحدث حتى مع والدتي، كنت أكتبُ فقط أتخذت قلمي صديق، ف أنا لست بحاجة للعالم، لا أنكر أن شعوري بالوحدة كان يزداد وأن محاولات والدتي كانت فاشلة كي تخرجني مما أنا عليه أعلم أنها كانت تزداد قلقًا عليّ، ولكني بخير حتى وإن كنتُ لست كذلك، جاءت والدتي كي تخبرني أننا سوف نذهب يوم الأربعاء إلى المستشفى مرة اخرى كي تطمئن عليّ، لم أقتنع بما قالته ولكني وافقت كي أجعلها تطمئن.

(٣)

كنتُ مرهقًا فقررت إلغاء جميع مواعيد اليوم، كما أنني على معاد مع صديقي محمد، جلست في العيادة حتى جاء الموعد المحدد فذهبت لرؤيته.

_أنت ناسي إني صاحبك وليا حقوق عليك وأني المفروض اشوفك وكدا؟

-والله يا محمد أنا يا في الشغل يا في البيت وبعدين بفكر أسافر تاني..

_ايه يا ابني انت مش لسا راجع مصر..؟

-شكلي اتعودت على قعدة برا

_ طب المهم قبل ما تسافر، عايزك تجيلي المستشفى يوم الأربع

- ليه؟

_كان في حالة عندي من اسبوعين كانت ف غيبوبة والتحاليل بينت أن معندهاش حاجة، فقلت لوالدتها تعرضها على طبيب نفسي يمكن يكون اللي حصلها كان بسبب ضغوط نفسية بس البنت مش مقتنعة، المهم أن والدتها اقنعت البنت دي إنها تجيلي المستشفى يوم الأربع علشان تطمن عليها ف أنت هتكون موجود وتحاول تتكلم معاها.

أخرج محمد هاتفه وحادث والدة الفتاة وأخبرها بكافة التفاصيل وأكد عليها الموعد المحدد وأن لا تجعل ابنتها تشعر بشيء.

كنتُ أجلس أمام النافذة وفي يدي كوب القهوة، وصوت فيروز وهي تقول "سألوني الناس عنك سألوني قلت لهن راجع أوعى تلوموني"

بدأ يوسف أن يخطر على بالي مرة أخرى ثم اكتشفت أنه لم يخرج من بالي حتى يعود إليه، ماذا لو لم تعود؟ ماذا لو مكثتُ عمري في انتظارك وفي

النهاية لم تأتي؟ ماذا لو سألوني الناس عنك؟ بِمَ سأخبرهم؟ هل سأقول لهم إنك مللت؟ أم تخليت؟ أم إنك اكتشفت بالنهاية أن ما تحمله لي ليست مشاعر حقيقية، أم أنني استحق افضل منك؟ ولكني أريدك أنت حتى وإن كنتُ الاسوء، لا أريد جنة غيرك سوف أتحمل نارك، لِما لم تخترع كذبه ترحل بها تليق بقلبي؟ لما تجعله يتسأل كل حين عن ميعاد رجوعك، لما تجعله يقول 'هذا ليس سبب للبعد لذلك سوف يعود مرة أخرى لربما كان يمزح معنا'

"بيعز على غنى يا حبيبي، لأول مرة ما منكون سوا"

لأول مرة ما بنكون سوا يا يوسف، جاءت أمي كي تخبرني بارتداء ملابسي حتى نذهب فهززت لها رأسي بالموافقة وكان شيئًا ما يخبرني أن سوف يحدث شيئا ولكني لا أعلم ما هو.

(٤)

كنتُ جالسًا أفكر في الفتاة التي اصطدمتُ بها منذ شهر، ثم رأيتها مرة أخرى منذ أسبوع لا أعلم سر انجذابي إليها، ولكنها تشغل تفكيري، كم كانت باهتة في أول مرة رأيتها فيها؟! كم كانت الدموع تسيل من عينيها كسيل المطر مِن السماء؟!، كم جذبني حزنها!، ولكن ما جذبني إليها أكثر هو تدهورها في المرة الثانية، أعتقد أنني لو رأيتها مرة أخرى لصفعتني بسبب ما فعلته بها أول مرة.. لِما لَم تنتبه لوجودي في المرة الثانية؟ لِمَا لَم تنظر إليّ عندما رأيتها؟ وتنهار في وجهي بسبب فضولي لمعرفة سبب بكائها أو لتشكرني بسبب انقاذي لها من الشباب الذين كانوا يريدون التعرض لها؟.. جذبني محمد من شرودي ليأكد على الوصول في الموعد المحدد.

ماذا لو؟ بعض الاحداث تتعلق ب "ماذا لو"، ماذا لو مكثت إلى النهاية؟ ماذا لو لم تتخلى عن قلبي؟ ماذا لو أنك هُنا؟ ماذا لو كنت أخر شيء تغمض عيناي عليه؟ ماذا لو تشاركنا كوب القهوة معًا كُل صباح؟ ماذا لو رقصنا معًا على أوتار قلبي؟ ماذا لو دُفنت ملامحك بداخلي إلى الأبد؟ ماذا لو لن تخذلني؟ ماذا لو استبدلنا وجع العالم ب ضحكة صغيرة منك؟ ماذا لو لم يحدث كل ما حدث؟ ماذا لو وضعت يدك على قلبي ف تختفي كل أثار الندبات التي بالداخل، ماذا لو ضممت رأسك إلى صدري ف نبت وردًا بدلًا مِن الحريق الذي بداخلي؟ ماذا لو سكت العالم أمام نظرة عيناك، ماذا لو تلاقت أيدينا في نفس الطريق؟ ماذا لو مسار كل مِنا لم يختلف عن الأخر؟ ماذا لو أنك هُنا؟

كنت شاردة ولم انتبه أننا وصلنا، بعد وصولنا للمستشفى طلبت منا الممرضة الدخول لمكتب الدكتور محمد، جلست دون أن أنظر لشيء كانت أمي تتحدث معه عن سوء حالتي ولم يكن لدي طاقة لتبادل الحديث معهم وقول أنني بخير وأن ما بي لا يحتاج إلى أدوية.

وصلت إلى المستشفى قبل الموعد المحدد بربع ساعة، كنت بحاجة لشراب كوب قهوة حتى أستطيع التعامل مع الفتاة التي تدعي فريدة، ف محمد أخبرني بصعوبة التعامل معها، وبعد قليل من الوقت آتت فريدة ومعها والدتها، عندما دخلتْ إلى المكتب شعرتُ بشيء غريب، أيعقل أن تكون هي؟ أيجوز للصدفة جمعنا سويًا مرة ثالثة؟ كانت تنظر إلى الارض ولم تتحدث قط، كنتُ أريد أن أري ملامحها، أريد أن أتأكد أنها هي، لم أنتبه لنظرات محمد التي كانت تريدني التحدث كنتُ فقط بحاجة لمعرفة أهي حقًا أم أنها

شخص آخر، عندما لم أتحدث حاول محمد فتح حديث معها كي يجعلني أتكلم وعندما رفعت فريدة رأسها ورأتني نظرت إلى بشيء من الدهشة.

_هو أنت؟

-هو أنتِ؟

_أنت إيه اللي جابك هنا؟!!

- حتى وأنتِ تعبانة بتزعقي؟ وبعدين أنتِ فريدة؟!

= انتو تعرفوا بعض؟

تحدثنا في أن واحد:

_لا طبعًا

نظرت له بغضب ف من أعطى له حق مطاردتي والتحدث معي بتلك الطريقة حتى وإن كان سببًا في نجاتي من مكروه ما، تركت والدتي تتحدث مع الدكتور وأخبرتها أنني سوف أنتظرها بالأسفل.

أخبرت والدتها أنني سوف أنزل وأحاول التحدث معها وأخبرتها أن لا يوجد شيء يدعي القلق، وجدتها جالسة في ركنٍ بعيد، اقتربت منها ولم أتحدث، كانت حزينة بشكلٍ جميل، كنتُ أشعر بشيء غريب، أخذتُ نفسًا عميقًا ثم جلست بجوارها.

_يومها مكنتش أعرفك ومكنش ليا الحق أني أعرف مالك أحب أعرفك بنفسي أنا دكتور نادر أخصائي مرضى نفسيين وبما أني بقيت الدكتور بتاعك خلاص ف تقدري تجاوبيني؟

- أنا مش مريضة ومش من حقك تسألني وأنا مش محتاجه أتعالج.

_ مش معنى أنك تتكلمي مع دكتور تبقي مريضة وبعدين المرض مش عيب ولو دورتي جوا كل شخص هتلاقيه مريض وبعدين خلاص اعتبريني صاحبك..

نظرت إليّ بعينٍ تملأها الدموع..

_بس أنا معنديش صحاب.

لِمَا تركتني؟ لِمَا لَم تنتظر؟ هل أزعجك صمتي؟ أم أزعجك كثرة حديثي؟ كنتُ لك كل شيء وعكسه لِمَا ذهبت؟ لِمَا رحلت وتركتني وحيدة حبيسة في سجنٍ أنتظر عودتك، أتعلم؟ أن مكثت قليلًا كنت سأخبرك عن حبي لك، كنت سأقول لك أحبك بعدد بُعدك عني، كنت سأصف لك عما يحدث أن لم تكن بجواري، كنت سأري لك قلبي بمنظار وجعي منك حتى تري كم هو يتألم من دونك، كنت سأخلق لك أحاديثًا في كل شيء تحبه ولا تحبه، أن كنت في حالة لاستيعاب شيئًا سأتحدث معك عما يدور حولك في عملك، كنا سنتحدث عن كرة القدم، عن كل شيء يجعلك تستنشط تركيزًا، وإن كنت توهمني بأنك تنصت إليّ ولكنك ف الداخل لم تنتبه لحرفٍ واحد مما أتحدث، سوف اخبرك وقتها بحالي، واشكو لك مِنك سوف أفشي لك أسرارًا رغبت في أخبارك بها من قبل، سوف أرمي ما بداخلي من حمل كي أتوهم إنك تشاركني إياه، وفي نهاية حديثي سوف أقول لك "هل تسمعني؟، ف تستيقظ من شرودك وتقول لي "ها، نعم إنني انصت إليك جيدا، ماذا كنتِ تقولين؟ أرهقني كثرة تفكيري في اللاشيء، نظرت بجانبي ووجدتُ الكارت الخاص ب دكتور نادر الذي اقنعني بحضور جلسات العلاج الاجتماعي عندما رفضت أن أذهب إليه، وأخبرني بعدم خسارتي لشيء أن جربت الذهاب بل ربما عندما أحضر معهم يشجعونني على التحدث، لا أنكر أنني فكرتُ في الأمر كنتُ بحاجة إلى سماع

مشاكل الأخرين كنتُ بحاجة أن أشعر ب أنني لستُ فقط من أعاني، لربما أوجاعهم تجعلني أشعر بصغر وجعي كنتُ حتمًا سأجن لكن لا أعلم لِمَا كلما جاء بخاطري هذه الفكرة أهرب منها على الفور.

_مزهقتيش من القعدة لوحدك يا بنتي؟

-تعالي يا ماما.

حاولتُ أن أزيل أثار البكاء حتى وإن كان يبدو عليّ ولكنني لا أقوى على نظرة عيناها المليئة بالحسرة، أعلم أنني ابنتها الوحيدة وما تبقى لها في هذه الدنيا الفانية، أن كانت أمي أم أخرى لكانت تجلس تشكي الآن مِن تجاوزي العشرين عامًا دون أن اتزوج وأنجب لها أحفادًا قبل أن يتذكرها الله، ولكن لأنها هي أمي وليست شخصٌ آخر ف ها هي تجلس بجانبي تُلملم ما تبقى مني نتيجة لهدمي مِن شخصٍ مجهول الهوية ولكنه يمتلك قلبي، لأنها هي أمي تربط على قلبي وتضمني إليها كي استكمل ما تبقى من دموعي بداخلها، لأنها هي أمي لو كان ب أمكانها لقطعت يوسف ومحت أثاره للأبد ولكنها تخاف على قلبي آثر فقدانه مرة أخرى، فقط لأنها هي أمي وليست شخص آخر تضع رأسي بداخل كفوفها، ولأنها هي وليست شخص أخر استعجب كيف ليدها الصغيرة أن تَساع كُبر وجعي نظرت إلى عيني وقالت:

_محدش يستاهل وجع قلبك ولا حزن عيونك..

- بس يوسف كان يستاهل يا أمي..

_لو يستاهل مكانش مشي يا فريدة..

وضعتُ يدي على قلبي قائلة:

-بس هو هنا حتى لو مبقاش موجود ف هو هيفضل موجود هنا، كل

حاجة بقت بايخة وطعمها مر مبحسش بالحاجة إلا لما يبقى جنبي، حتى بعد ما مشي يا أمي مستنياه يرجع أنا دايمًا بحس إنه بيراقبني من بعيد بحس إنه معايا ف كل مكان وكأن قرينه سايبه وقرر أنه يبقي معايا أنا، معايا دايمًا.

شعرت بثقلًا في قلبي ف أمسكتُ بقلمي كي أجعله يتزف ما بي من وجع..

"اشعر بالرغبة في البكاءِ والدموع عالقة وكأنها تَأبَى الخروج قط، أجُاهد لكي أبكي ولكن لا جدوى من المحاولات التي تنتهي بنتيجة سلبية، أشمُ رائحة حريق لا أعلم مصدرها، ربما هي رائحة روحي التي تحترق، رُبما؟ لا بالتأكيد هي رائحتها، ف هذه هي أسوء فترات قد مررتُ بها من قَبل، لا أشعر فيها بشيء وكأنني صنم، أشعر طوال الوقت بعدم التركيز، استمع إلى الأشياء مراتٍ عديدة وفي كُل مرة استمع إليها أشعر وكأنها المرة الأولي وبعد نهاية تلاوتها أتطلب إعادة قصها لعل وعسي أن تكون هذه المرة الاخيرة وأجمع فيها خطوط عقلي المُبعثرة واستجمعُ اي شيء، ولكن يؤسفني أن أقول إنه لا يوجد فائدة، ولكن ما يرهقني حقاً هو أنني أبتعد عن العالم، عن كل شيء، أشعر وكأنني أغرق في الجحيم، ولكنهم لا يكترثون بذلك، لا يروا أي شيء سوي أنني أتغير وأصبح بعيدة ولم أكن مثلما كُنت في أي شيء، ربما هم على حق، ولكنهم لا يعلمون أنني حقًا لا يوجد لدي ما أقوله لنفسي لكي يتواجد ما أقوله لهم، لذلك اكتفي بذكر أن كل شيء سوف يكون على ما يرام، ولكن لا بأس من قول أنه لا يوجد شيء على ما يرام، لا بأس من قول أنني ازداد سوءاً يوماً بعد يوم، لا بأس بأن يبدلوا كلماتهم بأنهم سوف ينتظروني حتي أعود من جديد بدلاً من مناوشة فكاري أكثر ، الأمر ليس بهذه الصعوبة ف أنني لن انتظر منهم قط أن ينشلوني من عُزلتي واكتئابي بل أطلب منهم أن لا يزيدوا الضغط

عليّ، إنني حقاً مُهلكة، أريد البكاء كي ينطفئ الحريق الذي يحدث بداخلي، ولكنني أخاف من زيادة الماء للحريق، مُخي عالق بالتفكير ف اللاشيء، أهلكني تفكيري في محاولة علم ما الذي يحدث، ولكنني أتْوه.. أتْوه بداخل أفكاري، تداخلت الأفكار بداخل بعضها ف لم استطع جمع أي شيء أو ربما تفكيكهم عن بعض، ربما حقاً غدا سوف يكون أفضل، أم ربما غداً سوف يأتي ولن نشعر به، ف كُل شيء أصبح مُر ليس له مذاق، أصبحتُ ذابلة، وحالي يزداد تدهوراً يوماً بعد يوم، عذراً لأنني لا أعلم ماذا أكتُب أو أقول، عذراً لأنني لا استطيع تجميع شيء، عذراً لأنني هُنا في عالم قبيحٌ مثل هذا"

تركتُ قلمي ووضعت قلبي بجانبه كنت بحاجة إلى النوم أكثر من أي شيء أخر، استيقظت على أنين والدتي ف ذهبت إليها مسرعة ف وجدتها تتنفس بصعوبة أخبرتني أنها بخير ولكنها تبدو عكس ذلك تمامًا ما أن أكملت حديثها حتى وجدتها تقع بين يدي هرولت بها مسرعة إلى المستشفى لا أعلم كم لبثت حتى وصلنا ولكن فور وصولنا أبلغني الطبيب إنها بحاجة إلى عمل عملية جراحية بالقلب في أسرع وقت طلب مني أن استكمل الأجراءات اللازمة ودفع المصاريف التابعة للعملية، كان الوقت قد تأخر ولم يكن لدينا وقت قررت الذهاب لدكتور محمد كي يخبرهم بالبدء في العملية حتى احضر لهم المصاريف كي لا نضيع وقت ف هو يعمل بنفس المكان ولكن لسوء الحظ عندما دخلت إلى مكتبه لم يكن بالداخل وفي طريقي للخروج انصدمت بوجوده.

_ أنا أسفة افتكرت دكتور محمد هنا.

- ولا يهمك هو تحت بيمضي ورق عشان هنمشي خير.. أنتِ كويسة

اقعدي استنيه.

_ مفيش وقت يا دكتور نادر ماما بتموت جوا ومش هلحق أروح البيت أجيب الفلوس واجي ممكن تبلغهم يبدأوا في العملية لحد ماجي لو سمحت.

- طب أهدي متعيطيش ومتشيليش هم حاجة واعتبري كل حاجة اتحلت.

ذهبت إلى المنزل واحضرت كل التكاليف وعدت مسرعة ولكني تفاجأت بما حدث

_ حضرتك كل المصاريف اندفعت.

- يعني ايه؟ مين دفعها.

_ دكتور نادر خلص كل الورق.

بحثتُ عنه في كل مكان ولم أجده أخبرني أحد العاملين إنه قد رحل هو ودكتور محمد صعدت لغرفة العمليات وجلست وحدي انتظر انتهاء العملية كنت أقاوم وجعي والبرد يالله لم يعد لدي طاقة للمقاومة، حاشه لله أنني لا اعترض.. ولكنني أصبحتُ ثقيلة، اكتافي لم تعد تساع لحمل كل هذا وحدي دون أحد، أعلم إنك تسمعني أكثر من أي وقت مضي لذلك تختبر إيماني بك أريني فرجك يا لله فلقد هزمني الوجع هذه المرة، لا تختبرني فيها فلم يعد لدي سواها أمطر بمطر فرجك يا لله ثم اجهشت بالبكاء كطفل رضيع.

بعد ثلاث ساعات خرج الطبيب وأخبرني بنجاح العملية وأنه سوف يتم نقلها للعناية حتى تفوق مما هي عليه وبعدها سيتم نقلها لغرفة عادية وأن الأمر أفضل الآن ويمكنني رؤيتها أيضًا بعد قليل.

خرجت أمي بعد اسبوع مِن أتمام العملية، حاولت من خلالهم أن أصل إلى نادر ولكن أخبرني الدكتور محمد بسفره خارج البلاد لمدة اسبوعين،

وعندما طلبت منه أن يعطي له نقوده أخبرني بأن من الأفضل أن انتظر حتى يعود وأسلمهم له بنفسي، حاولت الاتصال به ولكن كان الهاتف مغلق دائما، ف قررت الانتظار حينما يعود واذهب إليه واشكره على ما فعل، أصبحت أمي أفضل حالًا وتخليت عن عزلتي وغرفتي كي أبقى بجانبها حتى تسترد عافيتها مرة أخرى

مر شهر ولم استطيع الوصول إلى نادر، استردت أمي عافيتها تمامًا، عدتُ إلى غرفتي مرة أخرى، فكرت كثيرًا أن أبحث عن عمل كي يخرجني من قوقعة تفكيري بما حدث وبما لم يحدث ولكن فكرة تعرضي لتتعامل مع بشر مرة أخرى تجعلني أدفن نفسي بالقوقعة أكثر، أريد البكاء، أطالب في حقي بالصراخ، لا أريد التحدث مع البشر وفي أن واحد لا أريد التحدث سوى مع بشر، سوف أجن، أريد أن أجلس مع شخص ما وأقص عليه كل ما أشعر به، كل ما أهابه واريده، كل ما جعلني أصل إلى ما أنا عليه الآن وفي النهاية أقوم بمسح كل ما قصصته عليه قبل مدة كي لا يتذكر شيء وكي أشعر بالراحة نتيجة عن البوح بما بداخلي الذي لا يسترعى انتباه من هم حولي، أخرجني من تفكيري رنين الهاتف فكان نادر اتفقت معه على موعد غدًا كي أعيد له نقوده لا أعلم لماذا لا أريد أن أراه ولكن على أي حال فله كل الشكر على ما فعله معي من قبل.

(٥)

ارتديت ملابسي وصففت شعري وأخبرت والدتي أنني سوف أذهب ولن اتأخر وصلت في الموعد المحدد وجدته جالسًا في انتظاري، ذهبت إليه ثم ابتسمت وجلست دون أن أتفوه بشيء.

_تشربي ايه؟

- لا مش عايزة أنا بس كنت عايزة اشكرك على اللي عملته معايا قبل كدا وعلي الفلوس اللي دفعتها للمستشفى واتفضل فلوسك أهي..

_تفتكري إيه اللي يخلينا نتقابل تلت مرات وف كل مرة بتكوني محتجاني أكتر من المرة اللي قبلها؟

'وقع سؤاله كالصاعقة على قلبي، نظرت إلى عينيه شعرت بالدموع تتكون في عيني كان هادئًا للحد الذي يجعل قلبي يذوب، لم أجد ما أقوله، ولكن حتمًا ف إنها صدفة لا أكثر ف أحيانًا يبعث لنا القدر من نتكئ عليهم.

- لِمَا تجعل قلبي يرتبك هكذا؟

لاحظ ارتباكي وعدم معرفتي لجواب ف ابتسم قائلًا:

_ على العموم ياست أنا مش هاخد الفلوس دي..

-نعم لا طبعًا.

_أسمعيني للأخر هنعمل اتفاق هتيجي تحضري معايا الجلسات الجماعية ولما تخلص هاخد منك الفلوس وطبعًا انتِ مش هتقبلي أن يكون حد ليه عندك مبلغ كبير زي كدا.

"قال تلك الكلمات وذهب حتى لم يعطى لي فرصة القبول أو الرفض، شعرت ب أنني مقيدة ويجب على فعل شيء مجبرة عليه، ف أنا لست بحاجة للحديث مع أحد أو الاستماع لمشاكل الأخرين فبداخلي ما يكفي للسماع بل ويفيض منه، لو كنت هنا يا يوسف لكنت رفضت أن يحدث كل ما يحدث لي الآن، لو كنت حيًا يا أبي لِما كان ذهب يوسف ولِما كان حدث كل ما حدث..

لطالما كنت اخاف الظلام والوحدة، ولكن لم يخطر على بالي قط أن ما نرهبه ينبع من داخلنا، كنت أرهب الوحدة ووجدت إنني وحيدة رغم كثرة من حولي، كُنت اخاف الفراغ ولم ألحظ إنه ينبع من داخلي، كنت اخشي الفراق ولقيت إنني بلا هوية، كنت ارتجف مِن الظلام حتى أصبح بداخلي، كنت اخاف كل شيء حتي تمسك بي وسكن بداخلي، كنت أخافك حتى أصبح قلبي مرتطم بك، كنت أريدك حتي رحلت، بعد تفكير دام لوقتٍ طويل قررت أن أحضر تلك الجلسات وأعطي له نقوده وكل مِنا يذهب إلى طريقه، ف ليس بشأنه أن أصبح بخير أو لا؟ لِم يهمه أمري لهذا الحد الذي يجعلني أشعر بالخوف؟ ذهبت في المعاد المحدد، أخبرتني السكرتيرة أن الدكتور نادر في انتظاري بالداخل سألتها هل يوجد أحد معه؟ قالت لي أن الجلسة لم تبدأ بعد ولكنه أخبرها فور وصولي أذهب إليه.

_أتفضلي، كنت عايز اقولك انك لو مش حابه تتكلمي انهاردة متتكلميش، أنا أوقات بكتفى ب اتنين أو تلاتة يتكلموا في الجلسة وبنكمل المرة اللي بعديها، مش حابب أكون بغصب عليكي

-ولما أنت مش حابب تغصب عليا جبتني هنا ليه؟

....._

-انت بتعمل معايا كدة ليه؟

"هل ستصدقيني إذا اخبرتك أن الأمر متعلق ب قلبي ليس بي؟ شيء ما يجذبني تجاهك دون أن أدري ما هو، شيء ما يجعل قلبي مطمئن عند وجودك".

_قلتلك قبل كدا اعتبريني صاحبك، وبالمناسبة مفيش حد ينفع يقول ل صاحبه دكتور..

خيم الصمت علينا، انتظرنا حتى أتت المجموعة كاملة، جلسنا في غرفة كبيرة كُلٍ منا كان يجلس بعيدًا عن الأخر، كانت الغرفة واسعة وبلا اضواء حتى لا يشعر أحد بالحرج، لم نكن نرى شيء، وكان يوجد موسيقى هادئة مريحة للأعصاب، كان الجو هادئ للحد الذي يجعل مشاعر تفيض منك وفي النهاية تشعر وكأنك تتحدث لنفسك ليس لأحد.

بدأ "علي" الحديث، كنت شاردة ولم انتبه لهم حتى لفت انتباهي ما كان يقصه علي

_انا على عندي ٢٤ سنة عايش مع أهلى، الموضوع ابتدى يزيد ويكبر عن حده من ساعت ما كنت ف ثانوية عامة.

_ايه يا على أنت فين؟

_الو يا ماما، أنا لسا خارج من الدرس نص ساعة وهكون في البيت

_نعم؟؟ نص ساعة؟ لا كتير الساعة بقت عشرة يالّا متتأخرش..

_بابا أنا نازل اقعد شوية مع صحابي

_لاء يا على خلي صحابك يجولك هنا.

_يا بابا أنا مبقتش صغير علشان تتعامل معايا كدة وبعدين أنا ولد يعني ده حقي.

_يعني إيه ده حقك؟ اتفضل يالّا ادخل جوا ومش عايز كلام تاني أنا قلت كلمة وتتنفذ مفهوم؟

_تعالى يا علي بص القميص ده شكله حلو؟

_استنى يا بابا في قميص هناك شكله احلى.

_لا أنا عاجبني ده وهيبقي حلو عليك.

_بس يا بابا أنا..

_مفيش بس هو ده اللي هناخده يعني هو ده.

=مكنش ليا رأي نهائي، كنت دايمًا بعمل اللي هما يقوله عليه أو بمعنى أصح اللي هما بيفرضوه عليا، لحد ما خلصت امتحانات وظهرت النتيجة بتاعتي.

_اصحي يا علي النتيجة طلعت..

_بجد يا ماما؟ كام جبت كام؟؟

_مبروك جبت ٩٨

=محستش بفرحة ف عيونهم، كانوا فرحانين بالمجموع بس مكانوش فرحانين بيا أنا، ماما وبابا كلموا الناس كلها علشان يقولولهم اني جبت ٩٨

_انا هدخل فنون جميلة ..

_فنون جميلة إيه الكلام ده انت هتدخل طب يعني هتدخل طب

_انا مبحبش الطب وده حلمي من زمان وأنا بعرف أرسم يا بابا وأنت عارف ده

_بلاش كلام فارغ يا أما طب يامفيش تعليم.

=دخلت طب علشان مينفعش ابن المهندس يبقي عيل رسام زي ما قال، سقطت أول سنة فيها علشان مكنتش بذاكر ولا كنت بحضر، كانوا بيتعاملوا معايا زي أختي ف خوفهم عليا مكنش ليا صحاب كل صحابي كانوا بيتريقوا عليا وشايفني مش راجل، لحد ما قابلت بنت وحبيتها، عيشت معاها أجمل تفاصيل حياتي.

_أنا خلاص قررت اقول ل بابا واجي اتقدم ل باباكي، أنا مقدرش أعيش من غيرك.

_علي أنا خايفة، باباك صعب جدا وممكن ميوافقش..

_انا اللي هتجوزك مش هو، متقلقيش أنا هحاول معاه.

_نعم؟ تخطب إيه أن شاء الله؟

_واحدة زميلتي يا بابا وبنحب بعض بقالنا سنتين.

_شيل الموضوع ده من دماغك انت عارف اني حاجزلك بنت صبري صاحبي بنت محترمة وكويسة وبنت ناس.

_هي كمان محترمة وكويسة وبنت ناس وأنا بحبها هي.

_ بس أقل مننا يا علي!!

_الفلوس مش كل حاجة يا بابا، وفلوسها عمرها ما هتعيشني مرتاح، العشرة والحب مبيجوش بالفلوس

_مش هناخد واحدة مستواها أقل من مستوانا أنا قلت كلمة ومعنديش نقاش وأنت عيل ومش فاهم قرارك ده، بكرة لما تفهم وتعقل هتعرف أن المناصب أهم من الحب.

_ أنت عمرك ما هتفهم ولا هتحس، أنت مشاعرك أبرد من أي حاجة ممكن تتخيلها، أنت دايمًا مخليني أحس أني يتيم وأنت لسا على وش الدنيا.

_اخرس يا حيوان...

_أنت بتضربني يا بابا؟

_واموتك كمان، شيل البنت دي من دماغك تمامًا وإلا هيكون أخر يوم في عمرك أنت سامع.

=حاولت أوصلها بكل الطرق بس تقريبًا بابا هددها، عمرهم ما ادوني فرصة للعيش والمواجهه، حتى حلمي اتخليت عنه ف سبيل رضاهم وانهم شايفينه تافهه واني لازم أكون حاجة كويسة، أنا عارف انهم عندهم خبرة أحسن مني وأوقات بيبقي خوفهم ده كويس وصح، بس هما مش قادرين يفهموا أن المفروض اجرب بنفسي علشان أعرف إيه هو الصح من الغلط، قدرت استحمل كل قرارتهم وتدخلهم في حياتي في كل حاجة ماعدا هي حتى حياتي اللي هكملها بعيد عنهم لازم يتدخلوا فيها، حاسس أني تايه ومليش رأيي، عايز أكون متمرد، نفسي اسمع نفسي وأنا بقول لاء، لما بقيت بتحط في موقف اختيار مبقتش بعرف اختار وكأني خلاص اتبرمجت أني ألغي كل آرائي وهواياتي في سبيل رضاهم، وكأني خلاص اتمحيت!

دام الصمت لقليل بعد أن انتهى على من حديثه، جاء صوت فتاة من ركنٍ بعيد

(٦)

_انا نور عندي ٢٣ سنة ممكن نقول أنهم مش مِلكي، حياتي كانت عبارة عن وسيلة ل بابا وماما للانتقام من بعض، هما منفصلين من وأنا طفلة صغيرة ومن هنا ابتدت المشاكل

_هو فين بابا؟ ليه مش عايش معانا؟

=دي كانت أول الحكاية، كبرت نوعًا ما وابتديت استفسر، عايزة أعرف إيه سبب غياب شخص مهم زي بابا من حياتي؟ طب ليه ظهوره بيبقي دايمًا عامل خلاف بينه هو وماما؟ لحد ما وصلت ل إني خايفة منهم هما الاتنين مش من واحد بس.

_أنا عايز البنت

_مش هتاخد البنت، دي من حقي أنا والدتها وأحق بيها منك

_وأنا شايف أني أصلح ليها عنك يا هانم هاتي البنت

_لاء مش هتاخد البنت أبعد عني.

= كان اوقات المواقف اللي زي دي بتمر مرار الكرام وشوية زعيق وخلاص، واوقات بتوصل للإهانة ومد الايد علشان كل واحد عايز ياخدني من التاني وخلاص، المشكلة إني لما كنت ببقي قاعدة مع أي حد فيهم مكنش بيفكر في حاجة غير انه ازاي هيخليني أفضل هِنا من غير ما أروح للطرف التاني؟ مكانوش بيفكروا فيا تمامًا

_ لو خيروكي بين حد فينا اختاريني انا

=كانت أكتر كلمة بسمعها من الطرفين مش من طرف واحد، كُل واحد

شايف انه أحق بيا، وكأني جايزة وبيتخانقوا على مين هيفوز بيها وبعدين هتركن على الرف عادي، عمرهم ما فكروا أني محتاجة الطرفين.

_نور بتحبي مين فينا أكتر؟

=كأن سؤال مطلوب مني اجاوب عليه بكل بساطة واريحية، وكأنهم جاين يقولولي يالّا مستعدة تستغني عن عينك اليمين ولا عينك الشمال؟ طب م الاتنين في الأخر عيوني انتوا بتتكلموا في ايه؟ هتقولي مثلا أنتِ عندك عين أضعف من عين ف الموضوع مُبسط، طب ما في كل الأحوال النتيجة واحدة وهي إني مش هشوف غير بعين واحدة والرؤية مش هتبقي واضحة

_نور يالّا علشان تختاري بس خلي بالك إنتِ هتخسري اللي مش هتختاريه

_نور حياتك هنا افضل

_نور انتِ اتمنعتي عن مامتك علشان بعاقبك

_نور انتِ اتحرمتي من باباكي علشان سابني

_نور مامتك وحشة ومبتحبكيش

_نور باباكي راجل مش سوي ومش خايف عليكي

=نور نور نور بس كفاية دي حياتي أنا مش حياتكم، ده قراري أنا مش قراركم، أنا مش ذنبي أني أفضل طول حياتي عايشة بدفع تمن كام سنة أنتوا عيشتوها سوا من عمركم، عمر ما حد فيكم بيفكر فيا ولا في مشاعري، محدش شايف أنا عايزة إيه أو محتاجة ايه، أنا كنت باخد قرارات مصيرية زي أني أحدد حياتي مع مين فيهم في الوقت اللي كان المفروض تكون فيه أكبر حاجة شاغلة تفكيري هي اني مش عارفة هلبس إيه بكرة وأنا خارجة مع

صحابي، خلافاتهم أثرت على حياتي فيما بعد، بقيت دايمًا خايفة من فكرة الجواز وحاسة أني هفشل، أنا دايمًا حاسة أني فاشلة

لم يدم الصمت كثيرًا تحدثت فتاة أخرى معترضة على ما قالته نور

_بس أنا كان نفسي بابا وماما ينفصلوا.. أنا مريم عندي ١٩ سنة، مش دايمًا الانفصال بيكون قرار غلط اوقات بيبقى أرحم من حاجات كتيرة اوي مبنكتشفهاش غير متأخر

_ايه صوت الدوشة ده في ايه؟

_نامي نامي بابا بيضرب ماما برا

= ده كان رد أختي الكبيرة.. هي مقالتش كدة علشان معندهاش مشاعر أو مش هاممها لأ، بس احنا اتعودنا، مينفعش يعدي اسبوع من غير ما يكون بابا متخانق مع ماما وضاربها، وكان اوقات كتير مبيضربهاش، بس الطبيعي أنهم كل يوم بيتخانقوا

_بس اتكلمي بصوت واطي

_في إيه يا مريم مالك؟ بتترعشي ليه أهدي

= مشاكلهم وخناقتهم مع بعض وأني أصحى كل يوم على صوت زعيقهم وصلني أني أكره الصوت العالي واتعب جدا من الدوشة، مش كل الناس كانت متقبلة ده ولا متفهمة أني مبقدرش أتعامل بصوت عالي وبتعب ف مكنتش بقدر أخرج من البيت اللي بالتالي هو مصدر تعبي

_طلقني

_لاء مش هطلقك

=كانت كلمة بتتقال كل يوم عادي جدًا، وبابا مكانش بيوافق، حتى ماما كانت بتطلبها منه وهي من جواها رافضة ولما سألناهم قالوا

_ أنا هستحمل علشانكم

_انا مستحمل علشان تتربوا ف حضني بدل ما تعيشوا وسط راجل غريب

=رد مش مقنع بصراحة، ليه غاصبين نفسهم أنهم يكملوا في حاجة ولا هما ولا احنا بقينا قادرين أننا نستمر فيها؟ المشكلة أني بقيت شايفة من وجهة نظري أن مفيش أي علاقة جواز في الدنيا ناجحة وهادية، أنا بكرههم هما الاتنين ومش قادرة اشيل فكرة أن مهما كان دول أهلي ومينفعش أني أوصل للمرحلة دي بس هما وصلوني للمرحلة اللي أنا فيها دي عادي جدا، أنا بسببهم بقيت هِنا، بسببهم بقيت معاكوا دلوقتي وفي وسطكوا!

أنهي نادر الجلسة بعدما أنهت مريم حديثها، أربكتني نظرات نادر التي كان يوجهها لي من حين إلى آخر، ذهبت مسرعة قبل أن يتحدث معي

مر أسبوعين على أخر مرة رأيته فيها، لم أحضر الجلسات، كان يتصل بي مراتٍ عديدة ولكنني لم أجب عليه، كنتُ بحاجة لمعرفة لماذا أذهب للجلسات، هل حقًا للسماع والتحدث أم للتقرب من نادر أكثر وأعرف سر اهتمامه بي؟ لن أنكر أنني أشعر بالراحة في وجوده ولكنني أحب يوسف، وأنتظره حتى يعود وأعلم أنه لن يتركني قط هو قال لي هكذا من قبل، لِما ذهبت يا يوسف؟

كنتُ لك وطن ولكنك لم تقدر على محاربة العدو ف هجرتني..

عيناي تحمل شوقًا إليك، وأضلعي تتمنى مكوثك بها، ويدي تريد أن يفك أثرها ب قبضة يدك، وقلبي متيم بك، وعقلي مشغول بك، ف لِمَا لم نتحدى العالم بوجودنا سويًا، تحت أرض واحدة.

ماذا سوف يحدث لو ظلت أسمائنا مع أسماء العاشقين أم انك مغرم بالفراق؟

(٧)

كنتُ أعلم أنها لن تأتي مرة أخرى، أو على الاقل لن تأتي في الجلسة القادمة ولكن لم اتوقع أن تختفي شهر كامل حاولت كثيرًا الوصول إليها، منذ اول مرة رأيتها وهي سقطت بي أرضًا، أشعر بالاطمئنان عندما أراها، أود لو أن الزمن يتوقف عندها

وكيف لي أن لا أراها وقلبي ينبضُ بها

يزيد الحزنُ جمالها جمالًا، ولكن ما أجملها وهي كُل الجمال

يا أيها الرجل الغائب دائما، ها أنا أعود وحدي من جديد، ها أنا أجلس وحيدة فالجانب المظلم من الغرفة واتذكرك، اتذكرك وأنت تتفوه بكلمات ظننت أنها حقيقة ولكنك هربت وجعلتني وحيدة من جديد، اشكوا الآمي لأركان الغرفة وأشعر أنني على وشك الجنون، يا أيها الرجل الغائب أريدك أن تعلم أنني استمريت بالعيش بدونك، يا أيها الرجل الغائب أريدك أن تعلم إنه لم يبقى لك مكانا بداخلي، بداخلي! أتعلم ما هو الذي بداخلي! أنا أشعر وكأنني بداخلي بركان، أود أن تعلم أنني سوف أجلس دائما انتظرك، انتظر مجيئك ليتفجر به بُركاني وليس لأنني أريدك..

أخبرت والدتي أنني سوف أنزل لكي أجلس على البحر قليلًا سأمت من جلوسي بالغرفة وحيدة لا أفعل شيء سوي الكتابة والتفكير، قررت أن اذهب للخارج قليلًا وأشغل نفسي كي لا أفكر به، وعندما وصلت إلى الشاطئ تذكرت وقوفنا سويًا عليه.

ف وجدت نفسي كُلما حاولت الهروب منك أنجذب إليك أكثر..

جلست بعيدًا عن الضوضاء أمسكت بقلمي وبدأت أكتب"

مهلًا، أريدك أن تعلم شيئًا ما، إنني اكتشفت أن في غيابك كُل شيء يصبح باهت، تَمُرُ الثواني وكأنها دقائق، وتَمُرُ الدقائق وكأنها ساعات، وتَمُرُ الساعات وكأنها أيام، وتَمُرُ الأيام وكأنها شهور، وتَمُرُ الشُهور وكأنها سنين، وتَمُرُ السنين وكأنها قُرون، كُل شيء يَمُرُ ببطء، كل شيء يَمُرُ وكأنه حمل ثقيل يجعلني أتمزق، يجعلني اتذكر في كُل لحظة إنك لست هنا، انتظرك دائمًا على الرغم من إنني لا احب الانتظار وأشعر بملل إلا وأنني انتظرك، انتظرك في كل لحظة وأنا على يقين بِ أنك سوف تأتي، ولكن مهلًا فماذا لو جئت بعد فوات الأوان؟! فالأشياء بعد أوقاتها ليس لها طعم، ف الدواء بعد الشفاء ليس له ضرورة، وأنت دوائي، عندما نتألم نبكي ونريد مسكنات ف بعد الشفاء لا يوجد بكى، وأنت مُسكني ومَسكني، أشعر بالخوف مثل شعوري بِ حُبك تمامًا، وبالرغم من ذلك انتظرك، ولكن يا سيدي انتظاري لك طال وأصبحتْ أنا باهتة"

تركت قلمي ولفتت انتباهي ضحكة فتاة ف ابتسمت فور النظر إليها، كانت تجلس بالقرب مني وتضع رأسها على كتف رجل وتشبك يدها ب يده، تذكرت يوسف وهمست لنفسي قائلة

ماذا لو سقط حزني مع سقوط رأسي على كتفك؟

ثم تذكرت كل ما مررت به أنا وهو وكل لحظاتنا معًا، عدتُ مرة أخرى أنظر إليهم ولكني شعرتُ بالتجمد في جميع اطراف جسدي، شعرت بالصدمة والذهول نتيجةً لِمَا رأيته.

_دكتور نادر كلهم اتجمعوا برا ومعاد الجلسة جه ادخلهم؟

-فريدة جت؟

_لا يا دكتور..

-طب دخليهم..

يشغلني أمرها للحد الذي يجعلني لا أنتبه لعملي ولا لشيء أخر..

_اسمي سلمى عندي ٢١ سنة، الموضوع ابتدى لما كنت بحتاجهم ومش بلاقيهم، لما حسيت أني محتاجة لحضنهم وملاقيتهوش ف دورت عليه برا، كنت طبيعي زي أي بنت بحتاج لأمي تكون قريبة مني، بحتاج حضنها أوقات.

_ماما ممكن تاخديني ف حضنك؟

_مش فاضية يا سلمي أنتِ شايفاني بعمل ايه؟

_ماما إيه القمر ده، ما تجيبي حضن..

_بس يا بت أطلعي برا..

_يووه أنتِ لازقة فيا كدة ليه ابعدي عني الجو حر..

=هي عمرها ما فهمت أن لزقتي فيها ما هي إلا محاولة إني أقرب منها، كانت بتفرق بيني وبين اخويا الكبير في المعاملة، عمرها ما فهمت إني بنت والمفروض يكون ليا معاملة تانية.

_بابا أنا تعبانة.

_روحي بكرة للدكتور.

_لأ أنا عايزة اعيط.

_في حاجة وجعاكي؟

_حاسة أني مخنوقة..

_من ايه؟ بتاكلي أحسن أكل وبتلبسي أحسن لبس وبتتعلمي تعليم كويس مفيش سبب يخليكي مخنوقة....

=وده بابا، اللي طول اليوم في الشغل وعمره ما فكر يطبطب عليا ولا

يقولي كلمة حلوة، دايمًا بعيد عني، وطلاما بيديني فلوس وباكل وبشرب يبقي خلاص دوره انتهى، بيتنا كان غير أي بيت أنتِ طالما بتاكلي وتشربي يبقى جريمة ف حق الدولة لو اشتكيتي من أي حاجة بلاش دلع، مكانوش بيفكروا أني بحس وليا احتياجات تانية غير الأكل والفلوس، زي حضنهم مثلا.

_هنخرج انهاردة كلنا؟

_ماشي..

= كان معظم وقتي بحاول أقضيه مع صحابي وأخرج معاهم علشان محسش ب أي تعب، بس في نهاية كل يوم بكتشف أن كل المحاولات اللي بعملها فاشلة وأن أي حاجة بحاول أشغل نفسي بيها عمرها ما هتعوض الدفا اللي ف البيت.

_أنت فين؟

_وحشتيني..

_وأنت كمان

_انا بحبك

_متسيبنيش

=ملقيتش الحب في بيتنا ف قررت أدور عليه برا، ارتبط وحبيت واتحبيت زي اي بنت عادي جدا واتخطبنا

_انت بتقول إيه يا دكتور؟

_زي ما بقولك، الأشاعات أكدت أن عندك كانسر ف الثدي ومحتاج عملية بسيطة وهيروح.

=عملت العملية ونجحت، بس مع الأسف فرحتي مدامتش لوقت طويل

_أنا أسف يا سلمى بس الكانسر رجع تاني والمرة دي هنشيل الثدي

_أنت مابتردش عليا ليه؟

_أنت بتتكلم كدة ليه؟

_أنت ازاي تنسى مناسبة زي كده؟

=من بعد ما عملت العملية وهو متغير معايا لحد ما قالي إنه جاي وعايز بابا في موضوع.

_خدي يا سلمى دخلي ل خطيبك وأبوكي الشاي.

_حاضر يا ماما..

_أنا أسف يا عمي، بس أنا مش قادر اكمل مع بنتك، بصراحة بنتك مش كاملة جسمها مش زي باقي البنات وانا مش قادر اشوفها بالشكل ده خصوصًا كمان أني مش ضامن بعد الجواز ممكن يرجعلها تاني ولا لاء، وأنا بصراحة من حقي أعيش مع بنت جسمها طبيعي.

= أيوا سمعته وهو بيقول ل بابا كدة، سمعته وهو بيقول إنه مش قادر يكمل معايا بعد ما خلاص كان فاضل على جوازنا شهرين، موجعنيش كلامه، الصدمة مكانتش ف الكلام الصدمة كانت أن الكلام ده منه هو مش من حد غيره، راهنت عليه بعمري وهو ضيعلي عمري كله، كنت محتاجاه بس يفهم قبل ما يمشي أن القلب ملهوش أي علاقة بالشكل، وإني كنت هحبه واستحمله واراعي ربنا فيه ب قلبي مش ب جسمي أو شكلي، كنت عايزة بس أقوله أن اللي حصلي مكانش بمزاجي وإني قادرة أمشي على رجلي، وبمشي وهقدر أسنده لما نعجز سوا واناوله كباية المياه لما يتعب، كنت بس عايزة أقوله أني بحبه.

انتهت سلمى من حديثها، ثم بدأت فاطمة بالحديث..

(٨)

_أنا اسمي فاطمة عندي عشرين سنة، أنا معنديش مشكلة، متستغربوش، أنا وحيدة أمي وأبويا.

_بابا أنا خارجة.

_ماشي يا حبيبتي.

_ماما أنا عايزة دي.

_حاضر.

=طلباتي كلها مجابة، مجربتش أن حد يقولي لاء قبل كده.

_هتاكلي؟

_اه.. بس في اوضتي.

=حياتي كلها عيشاها ف اوضتي، حياتنا هادية لدرجة اننا بنشوف بعض بالصدفة، حياة روتينية مملة مفهاش أي مشاكل ولا اختلافات.

_ازيك؟

_بخير وأنتِ؟

_بخير..

=معنديش صحاب، كلهم مجرد زمايل وبس، وللعلم الموضوع مش مأثر فيا، اللي مأثر فيا أن مفيش حاجة!

_ماما أنا نفسي أحس أني مضايقة بسبب حاجة.

=أنا أوقات كتير بحس بكده، نفسي مشاعري تتحرك سواء بالضيقة أو بالفرح حتى أو الحزن أو أي حاجة، نفسي أحس أني بعيط علشان سبب،

حياتي فاضية لدرجة أني مش حاسة ب أي حاجة تجاهه اي حد، مش حاسة ب أي مشاعر فعلا.

_أنا نفسي اتكسرت وابقى مجروحة، تعرفي ياماما؟ كان نفسي أعيش حياة مختلفة عن حياتنا بالرغم أن ألف بنت تتمناها.

=أنا فعلا مبحبش حياتي، أنا دايمًا مقتنعة أن الحاجة اللي بتكسرنا بتزرع فينا حاجة أقوى وبتعلمنا حاجات كتيرة أوي، وأنا طول حياتي محتاجة أتعلم، محتاجه أحس أن حياتي مهمة وحقيقي أنا مشكلتي أن مفيش أي مشكلة.

انتهت فاطمة من حديثها، أحتلت الموسيقى المكان لم يتحدث أحد لفترة طويلة، ثم فجأة قطعت ولاء صوت الموسيقى بصوتها قائلة.

_ أنا دايمًا حاسة بالذنب.. أنا ولاء عندي ٢٤ سنة، الموضوع بدأ منهم هما مش مني أنا.

_بابا ممكن أخرج مع صحابي؟

_لاء

_بابا أنا عايزة أجرب دي.

_لاء

_بابا يعني ايه...؟

_لاء

_بابا انا..

_لاء

=من صغري وهو بابا دايمًا بيعترض على أي حاجة، ده لاء وده لاء وده

لاء، عمره ما اداني مساحة أني أجرب وأغلط وأتعلم.

_أنتِ كنتِ فين؟

_أنتِ اتاخرتي ليه؟

_هاتي تليفونك ده.

_بتكلمي مين.

_مفيش تليفونات بليل.

_مفيش دروس برا.

_مفيش كلام مع حد منعرفهوش.

=مكنش بيثق فينا أبدًا، كان دايمًا بيشك ف كل حاجة حواليه، من كتر م كان ضاغط علينا بأنه يرفض كل حاجة عايزينها ف بقينا نعملها من وراه، مكنش هيخسر حاجة لو كنت عملت الحاجة دي قدام عينه، هو اللي خلاني أعمل كل حاجة من وراه وأجرب كل حاجة هو منعني منها قبل كده، مش فضول بس يمكن عِند فيه.

_شكلك حلو..

_أفندم؟

_عيونك جميلة

_ضحكتك حلوة أوي

=ابتديت اعمل حاجات مكنتش أتمنى أنها تحصل، اتعرفت على ولد.. المشكلة إنه كان متجوز، كان طيب جدا حنين عليا بشكل ميتوصفش.

_ها عملتي إيه انهاردة؟

_ناويه على إيه؟

_نفسك في إيه؟

_أحكيلي أنا سامعك..

_أنا موجود..

=كنت بلاقي فيه اللي كان نفسي يكون موجود في بابا، كان بيسمعني ويتكلم معايا ويشاركني رأيي ويحسسني أني مهمة، لحد ما حصل اللي كنت خايفة منه.

_لأ متروحش البيت دلوقتي أقعد معايا شوية.

_متخانق مع مراتك؟ هي اللي غلطانة..

=حبيته.. أيوا حبيته.. حبيته وأنا عارفة أن اللي بعمله ده غلط ومينفعش أعمله بس كان غصب عني، قربنا من بعض جدا، محدش أعترف بمشاعره، كنت أوقات بحس إنه بيحبني من تصرفاته، فضلنا على الحال ده سنة ونص وكنت بتعلق بيه أكتر واكتر وبحاول اتلاشى احساس الذنب اللي كان بيكبر جوايا، كنت بقنع نفسي أني من حقي أحب وأتحب وإن الموضوع عادي.

_أنا عارفة إنك متجوز، وأن اللي بينا مكانش ينفع يبقى موجود بس أنا حبيتك واتعلقت بيك، ومش قادرة أبعد عنك، أنا موافقة أكون في حياتك حتى لو أنت متجوز، أنا بحبك..

=مراته شافت الرسالة اللي كنت بعتهاله بعبرله فيها عن مشاعري تجاهه، وانهارت وسابت البيت.

_أنتِ إيه اللي أنتِ عملتيه ده؟

_إيه في إيه؟

_بصي يا ولاء أنا مش عايز أعرفك تاني الظاهر إنك اتعديتي حدودك

احنا مجرد صحاب وبس وأنا بسبب هبلك وجنانك ده هخسر بيتي وبنتي.

=كلمني اتخانق معايا وقفل ف وشي، هو عنده حق أنا اللي كنت بظهر مشاعري بطريقة مش صح، أنا كنت عارفة أن الموضوع كله غلط من الأول ومع ذلك كنت مكملة وبتعلق بيه أكتر.

_أنا أسفة، أنا عايزة اقولك أن مفيش أي حاجة بيني وبين جوزك، احنا مجرد صحاب والله صدقيني أنا اللي حبيته وحياة بنتك جوزك ملهوش أي ذنب ف اللي حصل تمامًا.

=رحت لمراته وكلمتها وبعدين مشيت، وكنت بتابع اخبارهم من بعيد لأن احساسي بالذنب كان مموتني، بنته تعبت ودخلت المستشفى رحت أطمن عليها من بعيد أو كنت بتلكك علشان أشوفه معرفش المهم أني رحت، شفته وهو بيجري وأول ما مراته شافته اترمت في حضنه ونسيوا كل حاجة، مزعلتش أني خسرت حبه اللي كان من طرفي أنا وبس، مزعلتش أني هرجع لوحدي تاني، أنا بس زعلت أن ازاي كنت هستمر في العلاقة دي واخليه يحبني واخرب عليه حياته أكتر من كدة، مشيت وقررت أني هتخلص من مشاعري بأي طريقة، بس أنا لسا حاسة بالذنب ولسا بحبه، مبعرفش أنام بسبب احساسي ده، أنا عارفة أن أنا السبب وأن أنا اللي كملت فيه من البداية بس مقدرتش أتحكم في قلبي، مكنتش أعرف أني هوصل لكل اللي وصلتله ده..

بعد انتهاء الجلسة أخبرتني السكرتيرة بوجود فتاة في الخارج تنتظرني ف سمحت لها بالدخول.

_ياسمين إيه اللي جابك هنا؟

-وحشتني يا نادر...

_وحشتك؟ بالسهولة دي كدا وياترى رجعتي ليه؟

-نادر أنا..

_أنتِ ايه؟ أنت اتخليتي عني ف أكتر وقت كنت محتاجك فيه، بعتيني وجريتي ورا الفلوس كنتِ دايمًا بتستغليني وقلت مش مهم هاتلها اللي نفسها فيه اتجوزنا وعملنا أحسن فرح ممكن أي حد يتمناه طلبتي أننا منخلفش ف أول جوازنا وقلت ماشي يمكن مش مستعدة تشيل مسؤولية دلوقتي كانت كل طلباتك مجابة إنما تبيعيني مع أول وقعة علشان الفلوس؟ أنتِ كنتِ عارفة أن غصب عني وبعد م والدي توفى اكتشفنا أن علينا ديون وكان لازم أبيع كل حاجة وعدتك أن هرجع أقف على رجلي تاني وأحسن من الأول بس الموضوع محتاج وقت ف استحمليني الفترة دي قلتي لا مش هبيع الشقة ومش هقبل أعيش ف بيت عادي قلت طيب مش مهم وبعدين أول م تعرفي أني بيعت العربية تطلبي الطلاق وتقولي إنك مش قادرة على المستوى ده؟ رحتي اتجوزتي علشان خاطر الفلوس وأول ما تسمعي إني بقيت من أشهر الدكاترة اللي ف البلد تقرري تنفصلي وعايزة ترجعيلي بالسهولة دي كدا؟ أنتِ إيه ردي عليا أنتِ إيه؟

_نادر أنا أسفة أنا لسا بحبك وحقيقي مش عارفه أنساك.

-وأنا كمان أسف يا ياسمين بس أنا كمان مش قادر أفتكرك..

تركتها وذهبت لم أكن أتخيل حياتي من دونها ولكن أصبحت اليوم لن أستطع تخيل حياتي بوجودها، ف ثمة أشخاص قدر حبنا إليهم قدر كرهنا لهم، الأمر لم يقتصر فقط على العدو فهو فالبداية والنهاية عدو يمكننا تخيل اي شيء يمكنه فعله لضرنا وإنما ماذا بالضربة التي تأتي من أعز

الأشخاص؟ ماذا بالضربة التي تأتي مِن مَن كنا نحتمي بهم من وجع الحياة وأصبحوا هم الوجع فِمَن سنحتمي إذًا؟

ذهبتُ إلى نادر في عيادته ولم أجده كنت بحاجة لوجوده ولا أعلم لِم هو؟ أشعر وكأنني أريد أن أقف وراء ظهره كطفلة تتحامى في أبيها من العدو ولم يكن العالم لي سوى عدوي الأكبر..

كنت أهرب من كثافة العالم إليه ولكنه لم يبقى ف لِمَن أهرب؟

تضيق بي المدن والطرق رغم وسعها، فكيف لبلد تتحدث عنها الأمم جميعًا لا يوجد بها مكان يساع بي؟ وبالرغم من سخونة الجو إلا أنني أشعر بالبرد في قلبي..

أسير في الشوارع كطفل بلا أم، كنت أريد أن استوقفهم وأصرخ لم يحدث لي كل هذا؟ لَم يعد قلبي يساع لهذا الحزن وحده، ف يظهر شخص من بينهم ويتقدم نحوي ثم يبتسم ويعتذر لي نيابة عن العالم ثم يدفنني بين أضلعه..

أريد أن يمسك بيدي أحدهم ويقول لي أن كل شيء سيكون على مايرام حتى وإن لن يحدث ذلك، ويظل رابط يدي بيده حتي نصل معًا إلى بر الأمان، إلى حياة مليئة بالورد والفراشات ولا يوجد سوانا لا يوجد فراق ولا حزن..

كنتُ بحاجة إلى عناق طويل ربما يسقط مني الحزن بعده..

أمسكت بهاتفي ثم أرسلت لنادر رسالة بأنني بحاجه إلى مقابلته الآن، وبعد عشر دقائق أرسل لي موقع بالمهندسين وأخبرني إنه يتواجد هناك الآن، فذهبت إليه..

_أزيك عامل إيه..؟

-ليه اختفيتي؟

_محتاجة أتكلم..

-علي طول سامعك..

_كنت عايشة حياة هادية وطبيعية، لما دخلت المدرسة كنت انطوائية بحكم أن ماليش أخوات ومكنتش بعرف أتعامل مع حد، بابا الله يرحمه كان أقرب شخص ليا كان هو صاحبي وحبيبي وأخويا وأبويا، كانت كل ما الدنيا تزعلني مبلاقيش غيره أتحامى فيه وأنا على طول الدنيا مزعلاني يا نادر..

كنت زي أي بنت ف الدنيا محتاجه يبقى ليها صحاب، الموضوع بدأ بأنهم كانوا بيصاحبوني علشان ياخدوا الأكل بتاعي واحنا صغيرين، وأنا كنت بحتاج أحس إنهم محتاجني ف كنت بديهم الأكل وأنا فرحانة إنهم بيطلبوا مني حاجة، كنت بتعرض لنوعين نوع بيصاحبني أيام الأمتحانات علشان كنت شاطرة ف هتبقى مصلحة ليه ونوع كنت ببقى ليهم البديل، كانوا دايمًا بيركننوني على الرف لحد م قررت أشيل كل التراب اللي كان عليا من الركنة وأقول لا مش هديكم مصلحتكم لا مش هكون أخر اختيار ليكم طبعًا كلهم بعدوا لآن أسباب وجودهم أختفت ف مبقاش ليا لازمة بالنسبة ليهم..

مع كل بداية سنة جديدة كنت بقول لنفسي خلاص هانت المرة دي هتلاقي حد تكوني رقم واحد ف حياته المرة دي هتلاقي اللي يكون موجود علشان كيان فريدة مش علشان حاجة تانية..

لحد ما دخلت الجامعة ولقيت نفسي مش عارفة أكون منافقة زيهم، كانوا دايمًا بيحسسوني أني غريبة عنهم كنت دايمًا بشوف نفسي قليلة ف عنيهم لحد م عرفت يوسف وكل الحاجات السودة اتحولت لورد، حبينا بعض

كنت بحس وأنا معاه أني مالكة كل الكون ف إيدي مكانش بيخليني أحتاج لأي حاجة خالص، اتخطبنا كان هو خلص جامعة وأنا كان قدامي سنة، وبعدين اتخرجت وحددنا اننا هنتجوز بعض ست شهور وبعد فترة بابا توفى طبعًا كأني خسرت العالم مش خسرت بابا، اتكسرت ومبقاش باقيلي حد غير ماما ويوسف وكان بيحاول يصبرني بكل الطرق منكرش أني حسيت إنه أتغير معايا بس كنت بقول لاء محصلش، اتفقنا أننا هنكتب الكتاب عادي ف معادنا بس مش هنعمل فرح علشان يبقي معايا بشكل أكبر لأني كنت ف حالة صعبة جدا، وف يوم كنا قاعدين بنتكلم عادي جدا وكنا كويسين أوي وعدني إنه هيكونلي سند ومش هيحسسني بغياب بابا تمامًا وفضل يقول حاجات زي كدا كتير لحد ما نمت، نمت وأنا مطمنة أن في حد ف ضهري وأن خسارة بابا مش هتكون كبيرة أوي ويوسف هيعوض الغياب ده ولما صحيت أتأكدت أن مفيش حد بيعوض غياب حد وأن اللي راح هيفضل مكانه فاضي للأبد، صحيت على رسالة منه بيقول فيها "أنا أسف بس أنا مش قادر أكمل ف المسرحية دي أكتر من كدا".. مسرحية؟ بيسمي كل اللي بينا ده مسرحية؟ حاولت أوصله بكل الطرق لكن معرفتش تعبت جدا وبعديها بفترة دخلت ف غيبوبة أسبوع هما بيقولوا كدا بس الاسبوع ده كان يوم بالنسبالي أحلى من حياتي كلها، تعرف يا نادر؟ أنا مستعدة أضحي بعمري كله بس يطلع اليوم ده حقيقي مش ف خيالي أنا وبس، فضل مختفي فترة كبيرة جدا لحد م شفته بالصدفة من ساعتين مع بنت تانية يا نادر..!

في السادسة صباحًا على البحر بالتحديد كنتُ أمتلك نصف العالم بيدي والنصف الأخر أمام عيني، فدائمًا ما تكون يديك بمثابة عالم بالنسبة

لي وعينيك هي تكملة هذا العالم، نظرت إليك ثم ابتسمت قائلة:

_هو ده حلم؟

-لا أنا جنبك.

وضعت يدي على قلبي وغمضت عيني..

_بتعملي إيه؟

- بحلم، بحلم حلم.. حلو أوي كنت كل يوم بستناه يجي علشان أحلم بيه من تاني، مكنتش أتوقع أبدًا انه يتحول لحقيقة وتكون! تكون معايا هنا ف المكان ده من تاني، وبصراحة مش عارفة إذا كنت هفضل سامعة صوت دقات قلبي وهي بتناجيني علشان أحضنك وأفضل ساكتة كدا كتير ولا لا...

نظرت إلى السماء ثم إلى عينيك لم أستطيع أن أحدد من فيهم صافي أكثر؟ ف تنظر لي وتقول

_أنا بحبك يا فريدة.

-وأنا بحبك يا يوسف.

ثم تأخذني بين يديك ف أغمض عيني واستنشق نسمة هواء صافية، وأفتحها مرة أخرى لأجد نفسي في غرفتي والشمس تتسرب إلى غرفتي وتعلن حضورها وأجد أن ليست الشمس فقط هي من أعلنت عن حضورها الحلم أيضًا أعلن إنه حلم وغيابك أعلن أن ليس له رجوع..

فتحت نافذة الغرفة على مصاريعها جلست وفي يدي كوب القهوة وأمسكت قلمي من الجانب الأخر، وتذكرت يوسف وأن لا يوجد أمل للرجوع مرة أخرى حتى وإن عاد ف ما انكسر بداخلي ليس له رجوع، وتذكرت حديثي مع نادر البارحة واتفاقي معه على إنني سوف أنسى ما مضى وابدأ حياة جديدة

واستكمل حياتي بشكل مختلف، بحثت كثيرا على دفتر مذكراتي ف لقد كان معي بالأمس ولا أعلم أين أختفى، حزنت كثيرًا فكرت أن أكون قد فقدته عند البحر ولكني أتذكر جيدًا أنه كان معي، ما أحزنني ليس فقدانه بل فقدان ما فيه، كان بداخله الرواية الخاصة بي وبعض مقولات قد كتبتها من قبل لا بأس سوف ابدأ من جديد أمسكتُ بمذكرة جديدة وبدأت أن أكتب..

'استيقظ كل يوم في ذلك الوقت يقلقني صداعي الدائم وكأنه يتزايد في هذا الوقت بالتحديد من كل يوم، أجلس على حافة السرير في ظلام غرفتي الدائم وضوء الشمس يتسرب إلى غرفتي وكأنه يقتحمها ف أغمض عيناي، لا أود أن أشاهد تلك الإضاءة، لا أود أن اشاهد أنوار قط، أود أن أجعل الظلام يحتل غرفتي مثلما يحتل حياتي تمامًا، تتزايد الذكريات ويتراكم الشعور بالوجع أشعر بنور الشمس يزداد ف أغمض عيناي أكثر وأكثر ولكن لا محالة أعلنت الشمس عن مشاركتها لظلام عيني، أعلنت الشمس عن وجود الأضواء والأنوار، أعلنت الشمس عن وجودك أيضًا".

فماذا لو كنت شمس يومي يا نادر؟ ماذا لو تعلقت بك ف رحلت كالسراب؟ لماذا لم تأتي من قبل؟ أتعلم كم كانت ستبدو الحياة أكثر لطفًا من ذي قبل؟ ولكن نحن نأتي في حياة بعضنا لبعض في الوقت الذي يراه الله مناسبًا لنا، ف الله لم ولن يختار لنا ما يضرنا بشيء ف كل شيء مدبر من عنده..

أعلم أن ما أود فعله يسمى انتهاك للخصوصية ولكن لم أستطع منع فضولي من قراءة ما بداخل دفتر مذكراتها، طردت ذلك الوسواس واغلقت نور الغرفة ثم قررت ذهبت إلى النوم وفي اليوم التالي اتصل بها كي أخبرها

بوجوده معي، ظللت اتقلب يمينًا ويسارًا ولكن لا جدوى قمت مسرعًا واقنعت نفسي أن ما سأفعله ليس بجريمة وسوف اعتذر لها عندما آراها على قراءتي له، كنت أود أن أعلم الكثير عنها قمت بأعداد كوب قهوة ثم جلست في النافذة وبدأت أن اقرأ ما بداخله وبعد أربع ساعات انتهيت من قراءته..

كنت أشعر بالذهول هل هي حقًا من قامت بكتابة الخواطر التي بداخله أم شخص عظيم متمكن من كتابته ولديه العديد من الكتب الناجحة، والرواية أيضًا التي مدونة بها في غاية الروعة، كيف لم تفكر في نشرها؟ أنا على يقين بنجاحها بشكل كبير سوف أحاول اقناعها بذلك، أمسكت هاتفي وأرسلت لها رسالة ثم ذهبت إلى النوم.

كانت الساعة الثالثة فجرًا ولم أغفو فقررت الذهاب للنوم بجانب والدتي، تركت حزني وقلبي بالغرفة ثم ذهبت إليها وجدتها تقرأ في كتاب الله وضعت رأسي على كتفها حتى تنتهي، بعد أن انتهت ضمتني إليها..

_أنا عارفة إنك هترجعي أحسن من الأول لازم تتعلمي يا فريدة أن الحياة مبتقفش على حد.

- المشكلة مش كدا المشكلة أن اللي راحوا بياخدوا معاهم كل حاجة، بيروحوا بعد م طاقتنا في الحب والفرح وكل حاجة تروح فبالتالي مش هيبقي في حاجة جوايا اديها لأي حد جاي من تاني، والمشكلة الكبيرة يا أمي هو أن مكانهم بيفضل فاضي جوانا للأبد وحتى لو قدرنا نخلق حاجات جديدة مع أشخاص جديدة معتقدش إنها هتبقى بنفس احساسنا واحنا بنجربها أول مرة.

_ممكن تبقى أحلي! صدقيني زي ما بقولك كدا، الحب الحقيقي يا بنتي مش بيبقى أول علاقة مريتي بيها، ياما ناس كتير عاشت طول عمرها بتحب وفي الأخر اكتشفت إنها بعد كل ده ملقتش الحب الحقيقي، والحب الحقيقي هو اللي بيدوم في الأخر مش هو أول علاقة يا فريدة، عيشي يا بنتي أدي قلبك حريته علشان تعرفي تتنفسي.

قلبي لم يعد يساع سوى حبك يا أمي ف باي حق تطالبين بصنع علاقات جديدة؟

استيقظت من النوم وكنت أشعر أنني أفضل حالًا..

تتساقط مني مع صباح كل يومٍ جديد ف أشعر أنني أتنفس بشكل أفضل فياليت كل الأوقات صباح يوم جديد.

أمسكت هاتفي فوجدت رسالة من نادر أرسلها لي في الخامسة فجرًا..

"أنتِ عظيمة، أنتِ فعلًا فريدة يا فريدة، الدفتر بتاعك معايا.. تصبحي على خير"

شعرت بدقات قلبي تتصارع بقوة ودارت برأسي عدة اسئلة، هل قرأ ما بداخله؟ أم إنه يقول هذا الكلام بلا سبب؟ هل أعجبه؟ وبعد قليل وجدته يهاتفني كي نحدد موعد لاسترد الدفتر الخاص بي ثم أغلقت الهاتف وبعد قليل شعرت بدوار شديد جلست في السرير وجاءت أمي واعطتني دواء ولكن كانت الحرارة مرتفعة، أرسلت رسالة لنادر بالاعتذار عن الموعد بسبب مرضي المفاجيء..

صرت أسبوع جالسة في السرير والمرض يفتك بي..

كان حبك بمثابة لعنة يا يوسف عندما قررت أن أتوقف عنه فتك بي أرضًا كأنك لم تكتفي بتدمير قلبي ف قررت الانتقام من جسدي أيضًا..

مر شهر وتعافيت تمامًا كان نادر يطمئن على يوميًا وطلب أن يزورني في المنزل ولكنني رفضت، بعد يومين نزلت من أجل مقابلته..

_فريدة ليه مفكرتيش تنشري روايتك؟

"كان حلمًا سقط مني مع سقوط كل شيء وارتخت يداي ولم أستطع الامساك بهم".

-كنت كتباها قبل ما بابا الله يرحمه يتوفى وكنت هنشرها بس كل حاجة اتلغبطت بعد كدا.

_هو أنتِ باباكي متوفى بقاله قد إيه؟

-عايز تعرف يعني أنا ويوسف منفصلين من أمتى؟ كان ممكن تسأل عادي على العموم سنتين.

_طب مش ناوية تنشريها؟ أنا أعرف ناس كتير ممكن تساعدك في الموضوع ده وفعلا يا فريدة الرواية هتنجح أوي وأنا واثق من ده..

-مش عارفة يا نادر حاسة أني مش حابة دلوقتي وبعدين كلها عشر أيام والتقديم هيتقفل وأنا مش جاهزة نفسيًا ف ممكن نخليها المعرض الجاي على الأقل..

_دماغك ناشفة أوي...

- طب أنا همشي علشان الوقت اتأخر تصبح على خير..

عدت إلى المنزل شعرت بثقل روحي فذهبت إلى الله كي افرغ ما بي، جلست أمامه وخلعت ستار روحي بكيت له كما أنني لم أبكي من قبل شعرت بشيء

يضم روحي إليه، طلبت من الله أن يخرج بقايا يوسف من داخلي إلى الأبد وأن لا يعلق قلبي بما ليس له نصيب فيه وأن يرسل لي من يكون عوضًا بعد كل هذا الخراب، انتهيت من الصلاة ومسكت قلمي..

'ها أنا ابدأ من جديد، ها أنا أعود للحياة مرة أخرى بعد رفضها لي عدة مرات، ها أنا أحاول مع الزمن رغم كل ما حدث، لا ادري ما الذي سوف يحدث بعد، ولكنني اثق في قدرة الله تعالى على خلق أي شيء يدفعني للاستمرار، يدفعني للبقاء! يعلم الله كم من مرة تعرضت فيها لأنهاء حياتي ولكني كنت اتراجع أملًا في كرمه، يعلم الله كم من مرة كان قلبي فيها يرتجف وطمئنته بأن الله يسمعنا، هو وحده يعلم كم الهزائم والمعارك التي اخوضها وحدي دون أن يدري بي أحد لذلك سوف يجبرني جبرًا يليق بعظمته'.

بعد أن انتهيت من صلاة الفجر جلست أدعي الله كثيرًا، ظللت أطلب منه أن يجعلني عوضًا لفريدة وأن يخلق حبي في قلبها مثلما زرع حبها بقلبي، طلبت منه أن يجعلني قادرًا على بتر آلامها وخلق وردًا بدلا منها، أن يبدل لمعة عيونها من حزن إلى فرح، وأن يجعل كل منا تعويضًا للأخر، وأن يزيل من قلبها يوسف إلى الأبد.

ارسلت لها كي أخبرها بضرورة لقائنا بعد ساعة في المكان المعتاد، كنت أأمل من الله أن يمر كل شيء كما خططت له منذ أسبوع، بعد ساعة وصلت وكانت لم تأتي بعد، اخفيت الأوراق التي معي كي لا تلاحظ شيء وبعد عشر دقائق من وصولي آتت.

_كل ده تأخير؟

-في إيه قلقتني؟

قمتُ على الفور واخرجت قماشة سوداء واغمضت بها عينيها كي لا ترى.

_انت بتعمل ايه؟

-استني بس هتفهمي، هاتي ايدك..

اخرجت الأوراق التي كانت معي وامسكت يديها وجعلتها تمضي عليها ثم اخفيتها مرة أخرى وقمت ب إزالة القماشة من على أعينها وجلست وكأن شيء لم يكن ثم ابتسمت لها قائلًا:

_ها تشربي إيه بقي؟!!

-نعم؟ ممكن أفهم كنت بتمضيني على ايه؟

_اكيد مش تنازل على ثروتك اللي مش موجودة، هتعرفي بعدين.. المهم دلوقتي عاملة ايه؟

-نادر أنت بتعمل معايا كدا ليه؟؟

_ينفع مجاوبش دلوقتي؟

_دي تاني مرة اسألك..

-أوعدك ف التالتة هجاوبك.

_طب احنا بقالنا حوالي خمس شهور نعرف بعض وأنا معرفش عنك أي حاجة.

_بصي يا ستي أنا عندي ٢٧ سنة كنت متجوز قبل كدا ومحصلش نصيب، بابا الله يرحمه كان رجل أعمال مشهور وبعد ما توفي خسرنا كل حاجة وبدأت من الأول وجديد وبعد وفاة بابا انفصلت عن مراتي، وكنت قاعد مع والدتي ومازلت ومعنديش صحاب غير محمد أنتِ عارفاه وبعد ما استقريت ووقفت على رجلي من تاني بقيت عايش حياتي هنا شوية وبرا شوية وبس.

_كنت متجوز عن حب؟

-اه..

_طب ليه انفصلتوا؟

-مقدرتش تستحمل الظروف اللي حصلتلنا بعد وفاة بابا ف مقدرناش نكمل مع بعض.

_لو قررت ترجع هتوافق؟

-لا يا فريدة هي مكانتش موجودة ف أكتر وقت أنا كنت محتاجلها فيه، ف مبقاش ليها مكان خلاص

_أسفة لو كنت فكرتك بالماضي

-أنا مبزعلش من الماضي بالعكس أنا لولا اللي فات مكنتش هبقى نادر اللي أنتِ قاعدة معاه دلوقتي.

وجاء صوت أم كلثوم من مصدر مجهول

"وقابلتك أنت لقيتك بتغير كل حياتي معرفش أزاي حبيتك"

وأقسم أنني سَمعت دقات قلبي وهي تخترق صدري ف نظرت إليها ووجدتها تنظر إليّ وعلى وجهها ابتسامة هادئة جعلت دقات قلبي تتزايد..

نظرت إليه وكنت أشعر بشيء غريب، امتلكتني الغيرة عندما قال لي إنه كان متزوج من قبل، لا أعلم لِما ولكننا أصدقاء فمن الطبيعي أن أغار عليه، عندما جاء صوت أم كلثوم ونظرت إليه وجدته ينظر إليّ بطريقة مختلفة ابتسمت له كنت أشعر بشيء غريب ولكنه مميز..

'ليست أول مرة ألقاك فيها، ولكنها أول مرة يذوب قلبي بها'

(٩)

مر ثلاثة أشهر كنت على تواصل مستمر مع نادر، أصبحنا أشد قربًا، أخبرتني والدتي ليلة أمس بوصول أقارب لنا من البلد وسوف يجلسون في الشقة التي أمامنا وأخبرتني عن فتاة تدعي روان وتتقارب معي في العمر، وقالت لي أن أتقرب منها لأنها ستكون وحيدة هنا ونقضي أوقات الفراغ معا، هي لا تعلم أن حياتي كلها فارغة وكلما أخرج يكون نادر معي ليس أكثر، عَلمت بوجودهم في الخارج غيرت ملابسي وخرجت كي ألقي عليهم التحية وأتعرف عليهم..

_ أنتِ روان؟

-أيوا أنا، أنتِ فريدة صح؟

_ أيوا أنا، بقولك إيه أنا مبحبش التجمعات دي تيجي ندخل أوضتي؟

-تعالي

جلسنا في غرفتي حتي جاء الليل تحدثنا في أمور كثيرة، أخبرتني عن حياتها في البلد وإنها تمتلك موهبة الرسم وأخبرتها بموهبتي في الكتابة، اتفقنا على أنها سوف ترسم وأنا أقوم بكتابة جمل على رسوماتها، ذهبت إلى بيتها واتفقنا على المقابلة في اليوم التالي..

_اسمي محمود مش مهم عندي كام سنة..

_صوتك حلو جرب تغني.

_بابا أنا عايز اقدم في مسابقة للغنى..

_غنى إيه وكلام فارغ إيه أنت مش ناوي تكبر؟

=أهلي دايمًا شايفين أن أي حاجة بعملها أو عايز أعملها بتبقى تافهه، عمرهم ما حسسوني أني ليا شخصيتي وأحلامي..

_أنت خاين أنا مش قادرة أكمل معاك حرام عليك بقي مش ناوي تتعدل؟!!

=أمي عمرها ما كانت سمعانا أو عمرها ما حاولت تعوض مكان أبويا سواء معايا أو مع اخواتي، بس كانت هتعوض مكانه ازاي وهي مش عارفة تملى مكانها؟ طول الوقت كانت بتتخانق مع بابا لأنه بيخونها ويعرف ستات عليها.

_أنتِ اللي مش مكفياني ولا مكفية بيتك..

أنتِ اللي نكدية ومش مدياني حقوقي ف لازم ابص برا..

_ هتفضل طول عمرك ناقص وعينك فارغة.

= كان نفسي يفهموا أن خناقتهم مكانش ينفع تبقي قدامنا، كان نفسي يعرفوا أن احنا مينفعش نسمع الكلام اللي بيتقال منهم وقت خلافهم.

_أتكلم عدل..

_أسمع كلام أبوك..

_احترم نفسك..

=ازاي وانا شايفهم كدة؟ هحترم أبويا ازاي وأنا شايفه أب خاين لا يحتمل المسؤولية؟ طب ازاي هسمع كلام أمي وأنا شايفها مش كاملة في عين أبويا ومع ذلك راضية ده على نفسها ومكملة معاه.

_خليك انت مع صحابك ملكش دعوة بيا أنا وأبوك...

_أنزل أقعد مع صحابك ومتوجعش دماغي..

=كنت عايز أقولهم أن مهما تكون حياتنا الخارجية كويسة وسليمة

هنكون برضه مدمرين بسببهم.

_أنت فاشل..

_أنت عمرك ما كنت نافع في حاجة..

_خليك أنت كدة ملكش لازمة ولا بتعرف تنجح ف حاجة خالص

=هما أزاي كانوا عايزين يشوفوني ناجح؟ أصلا كنت هطلع أواجه العالم ازاي وأنا خارج من بيت مش سوي نفسيًا؟ كنت هتعامل في حياتي ازاي واحنا في البيت مبنعرفش لغة للحوار غير بالصوت العالي وممكن كمان توصل للضرب والأهانة.

لما كل حاجة مش عادية بتحصل في البيت اللي المفروض أكون بتعلم منه يبقي أنا كمان كان لازم أطلع شخص مش عادي، العيب مش فيا ولا في أي حد تاني العيب فيهم هما.

انتهت الجلسة وذهبت إلى المكان الذي أجلس فيه أنا وفريدة معًا وجلست في انتظارها.

_يابنتي هو أنتِ هتفضلي طول عمرك بتتأخري كدا؟

-كنت قاعدة مع روان.

_روان مين؟

-هحكيلك بعدين المهم كنت عايز إيه ومفاجأة إيه اللي بتقول عليها؟

-غمضي عيونك

_أهو..

-فتحي

_ايه ده؟ "الروح المبتورة" ل فريدة محمد، ده اسمي وده اسم الرواية

بتاعتي، لحظة! الكلام اللي جوا ده بتاعي، أنا مش فاهمة حاجة!

-أنا هفهمك فاكرة لما اتقابلنا وأنا غمضتلك عيونك ومضيتك على أوراق؟ كنت بمضيكي على عقد موافقتك على الرواية ودي أول نسخة منها وأن شاء الله هتنزل في معرض الكتاب وهتكسر الدنيا أنا متأكد..

_نادر..

- لا ما هو أنا متعبتش كل ده علشان في الاخر تيجي تقوليلي نادر وتقعدي تعيطي أمسحي دموعك دي..

_ طب أنت اخدت الرواية ازاي؟

- قلبي كان حاسس إنك مش هترضي تنشريها لما أقولك، فأخدتها عندي علشان انشرهالك أنا واحطك قدام الامر الواقع

_أنت مش بس دكتور شاطر أنت كمان صاحب جدع أوي.

"أقسم لكِ بكل الأديان السماوية إنني أجيد الحب أيضًا"

_قلتلك من الأول أنتِ اللي مصدقتيش.

عدت إلى المنزل وفي يدي أول نسخة من الكتاب، قلبي كان يندفع بقوة من فرط السعادة التي أشعر بها، لوهلة كنت سأقوم باحتضانه.

ماذا لو دفنت نفسي بداخلك إلى الأبد؟ لا أريد حبك فالحب يفسد كل شيء ولكني أريد حضنك فهو سوف يصلح كل شيء، أشعر وكأنني أحق به من أي شخص أخر ولكن لا..

أنا لا أحبك..

ذهبت إلى روان كي ترى روايتي كلما تذكرت إنه فعل كل هذا من أجلي تغمرني الفرحة وكأنها ليست من مجهودي أيضًا، ولكن فكرة إنها منه تجعل كل شيء مختلف..

_ايه يا بنتي في ايه؟!!

-بصي!

_دي رواية مين؟

قصصتُ عليها كل شيء منذ أول مرة رأيته فيها حين كان يحميني مِن مَن حاولوا التهجم عليّ وجَمع القدر لنا مرة أخرى إلى الآن، نظرت إليّ نظرة ذات معنى ثم قالت:

_بتحبيه؟

لا الأمر أكثر من الحب الأمر يشبه بالتسلل، أتدري معنى أن يتسلل شخص إليكِ دون أن تدري؟ هو تسلل إلى داخلي ورواني بدفئه ثم بعد أن أصبحت جزءًا منه اكتشفت إنني أحبه.

_لا طبعًا مبحبهوش، أنا هروح علشان أنام أشوفك بكرة.

كنت أشعر بروحي أشد خفة من ذي قبل، منذ مدة وأنا لم أشعر بتلك السعادة، أمسكت بالهاتف كي أرسل له رسالة أشكره فيها عما فعل معي ولكن في النهاية قمت بحذف كل ما كتبت، وكتبت له شيئًا آخر وبعد ذلك أمسكت قلمي كي اشاركه لحظات فرحي مثلما كان يشاركني لحظات وجعي.

"ما رأيك أن نجعل لغة خاصة بيننا لا يتحدث بها أحد سوانا؟ ما رأيك أن تغار عليّ وأغار عليكِ وأن نقضي جميع أوقاتنا سويًا وان تأخذني بين أضلعك خلسه دون أن يتفوه الأخر بكلمة أحبك، ما رأيك أن نلتقط صورة تذكارية معًا فتلتصق بي كي تبدو أكثر جمالًا، ما رأيك أن نفعل كل الأشياء التي يفعلها العشاق ولكننا في النهاية أصدقاء ليس إلا، ما رأيك أن ألتهم شفتيك تحت تأثير أي شيء ماعدا الحب؟ ما رأيك أن تكون ملكي لأنك ملكي ليس لأنني أحبك؟"

(١٠)

منذ أن غادرت وهي لن تغادر تفكيري، ابتسامتها المختلطة بدموعها عالقة في ذهني تأبى الخروج، كانت مسيطرة عليّ للحد الذي جعلني غير قادرًا على النوم من التفكير بها، جاءتني رسالة منها تقول فيها:

"مش أنا لوحدي اللي طلعت فريدة، انت كمان طلعت نادر يا نادر، تصبح على خير"

كيف تطلبين مني أن أصبح على خير وأنا اصبح على كل شيءٍ سواكِ؟

سافر نادر منذ يومين مِن المفترض أن يأتي صباح الغد، كنت أشعر بالضيق لأنه بعيد عني أصبحت اشعر بالأمان في قربه أصبح أقرب لروحي من أي شخص أخر، لذلك حتى وإن كنا لم نتقابل يوميًا ولكن كان يفصلني عنه بضعة دقائق فقط، فكيف أجلس هنا بنافذة غرفتي ويفصل بيني وبينه بلاد؟

هاتفته كي اطمئن عليه ولكني وجدت الهاتف مغلق اعتراني القلق، بعد قليل جاءت روان وجلست معي مر ما يقارب الثلاث ساعات، تحدثنا في بضعة مواضيع مختلفة أخبرتني عن اشتراكها في مسابقة كبيرة للرسم، كانت تود أن ترسم شيئًا مختلفًا رد عليها قلبي وأخبرها بصوت لم يسمعه سواي أن ترسم نادر، فكان مختلفًا للحد الذي لا شبيه له..

عيناه الواسعتان ذات اللون العسلي يحملان بريقًا يجعل قلبي ينشق تمامًا مثل شق البرق، شعره البني الفاتح الذي يتطاير مع الهواء ف تطير روحي معه، شفتيه البارزة وابتسامته الساحرة التي تذوب بقلبي، وطول قوامه وعرضه الذي يناسب تمامًا جسدي الضئيل عند احتضانه يومًا ما، وتناسق

وزنه كل هذا يزيده وسامة بجانب روحه التي أزدادُ تعلقًا بها يومًا بعد يوم.

_يابنتي سمعاني؟

-ها.. اه معاكي..

_ياه ده شكل عقلك غايب مع الغايبين.

-روان قلتلك مليون مرة متتكلميش بالأسلوب ده أنا ونادر مش أكتر من صحاب.

_طب عيني في عينك كدا.

-متغيريش الموضوع وقوليلي فكرتي هترسمي ايه؟

_أنا اللي بغير الموضوع يا فريدة؟ على العموم لسا مش عارفة.

-بصي حاولي تشوفي حاجة مختلفة، فكرة متكونش أترسمت قبل كدا ورسوماتك حلوة جدا ودايمًا بتبقي فيها فكرة مختلفة فأنا واثقة إنك قدها والله.

أيعقل أن أكون قد أحببته حقًا؟ أنا لم أشعر بهذا الشعور مع يوسف من قبل، أيعقل أن يكون نادر هو الحب الحقيقي؟ أيكون هو من خلقت من ضلعه وخلق هو ناقصًا كي أكمله أنا بوجودي؟ أيكون هو بطلي الذي أخلقه مع كل رواية؟ هل سيكون هو الفارس الحقيقي؟

لا أعتقد ذلك هذه أكاذيب ليس إلا، لا يوجد شيء إلا ويفسده الحب، لن أعترف إنني أحببته لن أترك قلبي يقع بين يديه حتى وأن كان كل ما يحدث بيننا يدل على وجود شيئًا ما..

في بعض الأحيان نحتاج إلى علاقات بلا مسمى حقيقي، أن نشعر سويًا بكل شيء ونستكفي فقط بكشف مشاعرنا عن طريق الأعين، أن نقول كلمات

غزل وقت الفرح ونختبئ وراء ستار الصداقة الذي نعلق عليه جميع أفعالنا.

أنا لا أريد أن أخسر نادر لذلك لا أريد أن أضع لعلاقتنا معًا مسمى..

جاء منتصف الليل وهاتفه مازال مغلق، حاولت مرارًا وتكرارًا ولم يتغير شيء، لم أكن احتمل هذا القلق، تطاير النوم من عيني كما تتطاير رائحته حولي.

أشعر بك، أشعر وكأنك تحاوطني، أنفاسك تخترق جسدي فأشعر بملاذ قوي، لمسة يداك تسير على جسدي كأنك هنا حقًا، أغمض عيناي ف تتجسد صورتك أمامي، أفعل مثل طفل صغير وأفتح نصف عيني حتى أتأكد من وجودك وأشاهدك قبل أن تختفي ولكني لا أراك فأغمض عيناي مرة أخرى واستكمل مشاهدتك، تقترب مني أكثر تقتحم أضلعي تدخل مسكنك فإنني لا أرى لك مكانًا مناسبًا تمكث به مثل أضلعي، لأن هذا هو مقامك اتمني منك أن تظهر، أن تظهر لي دائمًا حتى وإن كنت خياليًا، فرائحتك التي تنبعث في الهواء تجعلني استنشق أمانًا، فأنت تسكنني بشكل لا مثيل له.

بعد ساعة جاءتني رسالة أن الهاتف الذي حاولت الاتصال به متاح الآن، فهاتفته على الفور، كان يبدو عليه الارهاق من نبرة صوته أو ربما شعر قلبي بهذا.

_أنا أسف كنت مشغول جدا ومخدتش بالي أن التليفون فاصل..

_لاء.. ولا يهمك أنا بس كنت عايزة اطمّن عليك.

_وحشتيني

"أقسم أن نبضات قلبي تسارعت وكان على وشك السماع بها"

-هترجع أمتى؟

_بكرة بليل إن شاء الله.

_تيجي بالسلامة.

_اشوفك بعد بكرة؟

_رايحة فرح مع ماما وروان فممكن منعرفش نتقابل.

"شعرت انني تسرعت فأكملت على الفور"

_ممكن تيجي معانا لو حابب.

_خلاص معنديش مانع.

_تصبح على خير

"علمتُ أن حزني يتلاشى بمجرد سماع صوتك ويتسرب الأمان مباشرة إلى قلبي بدلًا منه"

شعرت بالاطمئنان بعد أن حادثته، دخلت إلى النافذة كي أجلس بها قليلًا، فكان يبدو على الجو إنه على وشك أن يمطر، ف بالفعل لم يمض سوى القليل واذ بحبات المطر تهل عليّ، جلست كي استمتع بها وهي تتساقط على ف اغمض عيناي مستمتعة بتلك الشعور.

"تتناثر حبات المطر على وجهنا، نرقص ونتلاعب سويًا تحت الأمطار، أنظر إلى السماء وأغمض عيناي وأترك مساحة كافية للأمطار لكي تقتحم وجهي، أشعر بفرحة كبيرة تجتاح جسدي، استمع إلى همساتك وأنت تدعوا الله أن يجمعنا سويًا، فأنظر إلى عينيك وابتسم ثم أغمض عيناي مرة أخرى وأجري، تضع يدك في يدي وتقول لي "دعينا لا نكترث لوجود شيء سوانا نحن وحبات المطر" ابتسم واشعر بفرحة هائلة حقًا، ها نحن معًا الآن نتراقص ونلهو تحت أنغام المطر، كما أني أيضًا اشعر باغتسال روحي وأحزاني وكأني

أنبت من جديد، أنبت معك! تحت المطر، نجلس على الرصيف سويًا ونطلق ضحكة ساخرة على ما نحمله من هم ليس له قيمة، فأنني اكتشفت أن وجودنا معًا تحت حبات المطر أو تحت اي ظرف يجعل كل شيء ليس له قيمة، نسمات الهواء التي تقتحم رئتاي تجعلني استنشق هواء نقي مثل حبك تمامًا، تزداد حبات المطر وتتكاثر مثل ازدياد حبي لك، ثم بعد وهلة يقل معيار المطر مثلما تقل نسبة بعدي عنك مع مرور الوقت، أرجو منك أن تكون معي تحت حبات المطر وتحت حبات الوجع وتحت كل شيء، فقط كون معي، كون لي"

_فريدة يا فريدة قومي يا بنتي..

_إيه يا ماما في إيه؟

_إيه اللي منيمك في البلكونة في الجو ده؟

_مش عارفة أنا كنت مش عارفة أنام ودخلت اتفرج على المطر والظاهر أن راح عليا نوم.

_طب قومي يا بنتي أحسن يجيلك برد ولا حاجة..

_هي الساعة بقت كام؟

_الساعة عشرة ونص.

_لا خلاص أنا صحيت.

_طب ما تدخلي تعمليلنا اتنين قهوة وتيجي نقعد في البلكونة شوية.

_عيوني يا ست الكل.

ذهبت لإعداد القهوة، كنت أشعر بالنشاط، وكلما تذكرت الحلم الذي حلمتُ به ليلة أمس ازدادُ نشاطًا وبهجة أكثر، انتهيت من اعداد القهوة

وذهبت بهم إلى النافذة ووجدتُ أمي جالسة في انتظاري وتقرأ أخبار اليوم في الصحيفة.

_يا خبر دي حاجة تقطع القلب.

_في إيه يا حبيبتي؟

_شاب زي القمر مات بسبب الزفت اللي بيشربوه اليومين دول بيقولوا إنه ابن رجل أعمال كبير وتوفى بسبب جرعة زيادة.

_أنتِ عارفة يا أمي أن الحاجات دي بقت كتيرة أوي اليومين دول! ده في كمان أنواع بتخليكي مش حاسة بجسمك تمامًا، ولا بتحسي باللي حواليكي أصلًا.

_اللهم أحفظنا يارب.

_طب تعرفي أيام لما كنت بحضر الجلسات مع نادر كان في راجل عنده حوالي ٤٥ سنة كان اسمه هادي تقريبًا، المهم يا أمي أن الراجل ده كان خريج هندسة يعني مهندس محترم بعد ما اتخرج مكانش لاقي شغل نهائي كان شاب عادي من عيلة متوسطة ناس على قد حالهم، كان كل ما يروح يقدم في شركة كانوا ياخدوا أصحاب المناصب الكبرى واللي أهلهم جايبينلهم وسطى وهكذا بالرغم من إنه كان دايمًا بيطلع الأول على دفعته ومتخرج بامتياز مع مرتبة الشرف، المهم أهله كان معاهم مبلغ صغير فأتجوز بيه وربنا كرمه واشتغل في شركة وقعد فيها سنة بالظبط وبعدين ابن المدير طرده لأسباب هو نفسه ميعرفهاش، نزل اشتغل على قهوة علشان يصرف على مراته وابنه بس المصاريف مكانتش بتكفي خصوصًا أن ابنه ابتدى يكبر راح اشتغل على توك توك بتاع واحد من اللي بيقعدوا على القهوة فطبعًا بحكم شغله في مجال زي

ده اتلم على ناس مش كويسة لحد ما فضلوا وراه والموضوع بدأ بسيجارة لحد ما بقى مدمن هيروين وما شبه ذلك، كان في أوقات مبيبقاش معاه فلوس يشتري ف مكانش بيبقى في وعيه وكان بيفضل يكسر في كل حاجة في الشقة لدرجة إنه في مرة كان هيبيع ابنه علشان عايز فلوس يشتري القرف ده ف بالتالي مراته أخدت الولد وسابت البيت ولحد دلوقتي بالرغم من إنه اتعالج بس مش عارف يوصلهم وميعرفش عنهم حاجة، كان بيحكي ويقول إنه في الفترة الأخيرة مكانش فيه صحة إنه يشتغل ف باع كل حاجة عشان يشتري بيها وبعدين مبقاش معاه فلوس ولا حاجة يبيعها ف كان بيحرق الصراصير والنمل وبعدين يشمهم! تفتكري يا أمي مين السبب في الحالات دي احنا ولا الدولة! تفتكري لو كان ابن المدير سابه في الشركة بيشتغل كان هيوصل للمرحلة دي؟

_يانهاري يا فريدة الواحد مبقاش عارف العيب فين في الدولة اللي مش موفرة فرص عمل ليهم ولا فينا احنا اللي بنمشي ورا أي حد؟ احنا حقيقي بقينا في زمن العجايب ولاد الأكابر معاهم فلوس ووقتهم فاضي ف بيشربوا علشان يتسلوا، والفقير اللي مش لاقي ياكل أهو ببشرب من غلبه، ربنا يرحمنا يا بنتي..

_طب ما بقولك إيه ما تسيبك من الفقير وابن الأكابر وتيجي أقولك حاجة..

_خير في إيه؟

_نادر.....

_ماله..؟ سكتي ليه...؟

_قلتله يجي معانا الفرح بتاع بكرة.

_ايوا يا فريدة هو ده الكلام اللي بيتقال على الصبح مش صراصير ونمل وحاجات غريبة

_طب أعملي حسابك عايزة منك فلوس علشان أنزل أجيب فستان مع روان علشان معنديش حاجة ألبسها واروح بيها بكرة..

_طب نرجع بقي للصراصير والنمل تاني علشان دي مشاكل دولة والأفراح اساسًا حرام.

ضحكت على طريقتها، ف أمي هي الشخص الوحيد الذي بإمكانك التحدث معه في كل الأشياء وفي عدة مواضيع مختلفة في آن واحد، هي الوحيدة التي بإمكانها أن تضحك وتبكي وتصرخ وبعد قليل تجلس وكأن شيئًا لم يكن.

(١١)

_تحفة يا فريدة تحفة..

_مش قصير شوية؟

_لا بصي أنتِ هتاخديه يعني هتاخديه ده كأنه معمول ليكي بالظبط أنتِ عبيطة؟

_لا.. لا وبعدين الجو ساقعة يا ستي...

_فريدة الموضوع انتهي اتفضلي أدخلي غيري هدومك، وهناخد ده لو سمحت.

"انتهينا من شراء الأشياء وذهبنا كي نجلس قليلًا فمنذ ما يقارب الخمس ساعات ونحن نتجول في الخارج".

_ياالله رجلي مش حاسة بيها أطلبيلي حاجة اشربها بسرعة.

_لا أطلبي أنتِ وأنا هقوم أكلم نادر أشوفه هيركب الطيارة أمتى..

_مستعجلة عليه كدا ليه كلها بكرة وتشوفيه..

_طب والله يا روان لو مبطلتيش طريقتك دي هخليكي أنتِ اللي تحاسبي على المشاريب.

_لا يا ست وعلي إيه قومي كلميه ولو عايزة تكلميه من تليفوني كمان خدي كلميه.

_أهو مبيردش .

_أحسن..

_بتقولي حاجة؟

_لا بقول المانجا دي طعمها حلو اوي اوي..

_أنا مبحبهوش على فكرة هو بس جدع معايا اوي كفايا إنه وقف معايا وخرجني من اللي كنت فيه وحققلي حلمي وروايتي هتنزل في المعرض بسببه.

_أيوا أيوا عارفة كل ده وإنه مجرد أخ وصاحب بالنسبالك وإني لو قلت كده تاني هتزعلي مني ومش هتحكي معايا وكل ده.

_هو أنا بحبه؟

_لاء.. بقولك إيه أنتِ شكلك مجنونة وهتجنينيني معاكي، بس أقولك متشوقة أوي أني أشوفه بكرة.

_ممكن ميجيش.

_هيجي وهتقولي روان قالت.

_طب يالّا علشان نروح أنا تعبت.

_أنتِ نايمة؟

_أه رجعت من برا تعبانة فنمت؟

_....

_أنت كويس؟

"تتسألين عن حالي قبل سماع صوتك أم بعد؟ فإذا كان يعنيك الأمر ف اشتياقي لكِ يقتلني ولم أكن اشعر أنني بخير أطلاقًا، أما بعد فماذا تضعين على قلبي من سحرٍ تجعليه ينسى كل شيء أمام كلمة منكِ؟"

_أيوا أنا كويس، أنا بس حبيت أكلمك أقولك أني وصلت.

_هشوفك بكرة؟

_إيه عندكوا عربية ينفع تروحوا بيها الفرح غير عربيتي ولا إيه؟

"كل شيء يسكن حولي ماعدا صوت ضحكتها"

_ضحكتك طلعت حلوة أوي..

_ده من زمان على فكرة، يالّا تصبح على خير ومتتأخرش بكرة..

_فريدة يا حبيبتي أنا صاحبك مش السواق بتاعك.

_أنت تطول!

"لا، أودكِ فقط أن تعلمي إنني أتمني أن أكون بجانبك حتى وإن كنتُ حارسا لبيتك، ف يكفيني ضمان رؤيتك مرتين على الأقل يوميًا"

_أه وهطول القمر قريب كمان لو مش عاجبك.

_لاء خلاص عاجبني يالّا سلام.

"يا لكِ من حمقاء هل كان يجب أن أضع اسمك كي تفهمي ما أقصده؟ ماذا سوف يحدث لو فهمتي أن ما أقصده بكلمة قمر عائدة عليكِ أنتِ؟ عائدة على فريدة ليست على شيء سواها، فإن كنا نريد أن نستعير للأشياء الجميلة اسم غير اسمها ف بإمكاننا أن نستعير اسمك، فهو يحمل كل جميل، يكفي إنه يحملك".

_ يا فريدة يالّا ده مش فرحك

_يا نادر نازلة، ماما نزلتلك؟

_أه وروان نزلت هي كمان.

_طيب دقيقة أهو..

" لا أحب الانتظار ولكني أحبها، بدأت أشعر بالغضب نتيجة لتأخيرها منذ ساعة أو أكثر وأنا على تلك الحال وفي كل مرة تقول لي باقي لي دقيقة

واحدة لما مستعجل هكذا؟ أرسلت روان إليها لأنها لم تجب على اتصالي الأخير وكانت على وشك الذهاب ولكن أتت فريدة أخيرًا..

_خلاص فريدة نزلت أهي..

"نظرت إليها واضطربت مشاعري كنت أشعر بمزيج من الغضب والاندهاش، كنت غاضبًا من قصر ما ترديه لا أود أن يرى أحد جمالها غيري، وكنت مندهشًا من فرط جمالها، كانت رائعة وكأن جمالها مرسوم بدقة، كانت تشبه الأميرات حتى وإن لم يكن ف يكفي إنها تشبه الأميرة الخاصة بي، يكفي إنها أميرتي!

كانت ترتدي فستانًا أسود اللون يصل إلى ركبتيها، وشعرها الحرير المنسدل وراء ظهرها ويتطاير مع نسمات الهواء، لم تكن تضع مساحيق تجميل فلم تحتاج إليهم، عيناها الخضراء يزيدونها براءة ووسامة، كانت تضع أحمر شفاة فقط فزاد جمالها جمالًا، كانت شفتاها تشبه للكرز وكم كنت مشتاقًا لأكل الكرز!

_بقالك خمس دقايق باصصلي، شكلي وحش؟

_أنتِ تسكتي خالص إيه الفستان القصير ده؟؟

_روان هي اللي... وأنت مالك اصلًا؟ وبعدين أنا رايحة فرح ف عادي يعني..

_الفرح اللي أنتِ فرحانة إنك رايحاه ده لو شفتك اتحركتي من مكانك هقتلك، اتفضلي أركبي

_أنا غلطانة أني قلتلك تعالى معانا..

_بتقولي حاجة؟

_بقول يالّا اتأخرنا..

"جلست بجانبه وجلست روان بجانب أمي في الخلف على الرغم من الغضب الظاهر عليه، إلا أن ملامحه كانت تبتسم لي من حين لأخر، بعد نصف ساعة وصلنا، سرتُ بجانب روان وأمسكت يديها كنت أعتقد أنني بتلك الطريقة سوف أمنعه من المشاجرة معي بسبب ما ارتديه.

_بس قوليلي إيه القمر ده؟

_قمر إيه أنتِ تسكتي خالص أهو اتزعقلي بسببك وأنا أصلا قلتلك من الأول إنه قصير وأنتِ اللي صممتي إني أجيبه.

_إيه ده هو غيران؟

_بقول أسكتي.

_طب والله غيران.

"دخلنا إلى القاعة جميعًا، جلسنا على طاولة في مكانٍ مناسب تجعلنا نرى العروسين من مكاننا دون أن نذهب إليهم، دق قلبي عندما رأيتهم، نظرت إلى نادر على الفور ولا أعلم لم فعلت هذا ولكني وجدته ينظر إليّ أيضًا ولكن نظراته كانت مختلفة، كانت رائعة!!

لم يجعلني اتحرك مثلما قال، أخذت امي روان وقاموا كي يذهبوا إلى الحمام، كنت سأبقى معه وحدي، نظرت إلى روان كي لا تذهب مع أمي ولكنها ضحكت وذهبت ونظرت إلى أمي نظرة لم أفهم معناها، وكأنهم يقصدون أن يتركوني معه وحدي.

_ممكن بقي أفهم لو مكنتش جيت معاكوا كنتِ هتعملي إيه؟

_هعمل إيه يعني مش فاهمة؟

_نعم؟ وأنتِ مفكرة أني كنت هسيبك تمشي من غيري بمنظرك ده؟

_إيه ماله منظري، زي القمر صح؟

_فريدة متهزريش.

_في إيه يا نادر مالك! أول مرة تتكلم على لبسي بالأسلوب ده، أول مرة تتكلم أصلا!

_يمكن علشان...

"قاطع مراد حديثه فجاءة"

_فريدة وحشتيني، مختفية فين يا بنتي؟!

_أهو موجودة عامل إيه واختك عاملة إيه وحشتني أوي.

_كويسين كلنا بخير الحمدلله.

"نظر إليّ نادر الذي كان يستشيط غضبًا فقلت مسرعة كي أهدئ من الموقف قليلًا

_نسيت أعرفكم ببعض دكتور نادر، والمهندس مراد قريبنا من بعيد.

_أهلًا وسهلًا

"حمدتُ الله كثيرًا أن أمي قد جاءت هي وروان، جلس مراد معنا بناءًا على رغبة أمي، اقتربتُ إلى نادر قليلًا وقلت له بصوت منخفض حتى لا يسمعنا أحد:

_أول مرة أعرف إنك بتغير كدة..

_أنا؟ خالص على فكرة مين أنتِ علشان أغير عليكي؟!!

_ أيوا ما هو واضح.

جاء دور رقصة السلو ووجدتُ مراد ينظر لي ويقول:

_فريدة إيه رأيك تيجي نرقص سوا؟ نفسي أرقص سلو من زمان ومش

لاقي اللي يشاركني اللحظة دي..

"قاطعه نادر بعصبية قائلا"

_بعتذر بس الفرح مليان بنات تقدر ترقص مع أي واحدة فيهم، أصل فريدة هترقص معايا أنا عن أذنكم.

ثم سحبني من يدي بسرعة دون أن يتلقى مني أي جواب حتى، شعرت بالصدمة من رد فعله، لم أنكر أنني كنت سأوافق على طلب مراد لأنني كنت أرغب في الرقص، ولكني الآن سوف أرقص مع نادر.

أعلم أن لا يوجد اختلاف وفي النهاية كنت سأرقص سواء مع نادر أو مراد ولكن الاختلاف الآن يكمن في قلبي، ف المختلف هنا إنه نادر وليس شخص أخر!

أهتز جسدي بأكمله عندما وضع نادر يده على خصري، شعرت بسخونة كل ما هو حولي عندما اقتربت مني أنفاسه، كنت أشعر إنها تخترق جسدي وترتطم بقلبي أرضًا من شدة لهيبها، كنت أشعر بارتجاف قلبي أقسم إنه يشعر بارتجاف جسدي بين يديه، لم أقوى على النظر إلى عينيه، فيكفي نظرة عيناه لي فقد جعلتني لم أقدر على التنفس فماذا لو كانت تقابلت عيناي مع عيناه؟ أقسم إنني في تلك الحالة كنت سأسقط منه أرضًا، حُركت كل مشاعري وظلت تتلاعب بي عندما مال بجسده على جسدي، وقتها تقابلت أعيننا كم مكثنا في هذا الوضع لم أعلم، ولا أود أن أعلم، كل ما أعلمه أن العالم كله سقط مع سقوطنا سويًا، ولكنه وقع في الهوية وارتفعت أنا إلى القمة"

انتهت الرقصة، كيف لأشياء نقاوم طوال الوقت من أجل اخفائها وتأتي رقصة كهذه تطوح بي وبكبريائي أرضًا؟

أهي بسبب المسافات التي كانت شبه منعدمة اليوم؟ فهذه هي المرة الأولي التي أكون فيها بالقرب من نادر بتلك الدرجة..

كيف بنظرة أن تفضح ما نبات طيلة الليل نخفيه؟

لم أتحدث معه طوال الفرح، جلست بجانب روان ولم اتفوه بكلمة واحدة، كنت أشعر بالتوتر، بالخجل، بالغضب من اقترابه مني بتلك الدرجة، بالحب!

ظل ينظر إليّ وهو يبتسم، وكأنه فاز بجائزة بات عمره كله يحلم بها، وكأنه يشعر بالانتصار!

في عودتنا إلى المنزل جلست أنا بجانب روان في الخلف وطلبت من أمي أن تجلس هي بجواره، نظر إليّ وابتسم وكأنه كان يتوقع إنني سوف أفعل هذا، جلست بجانب روان اتحامى فيها من كثرة أفكاري التي ستقضي عليّ، كان ينظر إلى في المرأة الأمامية، كلما نظرت إليها وجدته ينظر إليّ ويبتسم أكثر.

هربتُ من نظراته ولكني لم أقدر أن أهرب من تفكيري.

فكيف لي أن أقف عن التفكير به وهو لم يتوقف عن العبث في قلبي؟

عدنا إلى المنزل واصرت أمي أن يصعد معنا إلى أعلي، كانت الساعة العاشرة مساءا وقال إنه يجب أن يعود إلى منزله كي ينام مبكرا لأنه يرتبط بعدة مواعيد في الصباح، رفضت أمي كل المبررات وفي النهاية صعد معنا إلى أعلى، طلبت من روان أن تظل معي حتى يذهب هو وفي وقتها يمكنها الرحيل حيثما شاءت، جلست بجانبها وجلس هو أمامي بجانب أمي، كنت أشاهد أنا

وروان بعض الصور التي التقطناها سويًا والتي التقطتها لنا روان على غفلة، وكان هو يتحدث مع أمي بلهفة شديدة من الطرفين.

_بس بس لقيتها

"نظرنا جميعًا إلى روان التي صاحت بكلماتها وهي تنظر في الهاتف ويعلو على وجهها علامات الفرح والسرور"

_هي إيه دي اللي لقيتها؟

_ مش مهم المهم إني لقيتها.. لقيتها يا فريدة.

_ خدي هنا رايحة فين؟

_هاجيلك بكرة.

_طب هاتي التليفون أشوف باقي الصور وهجيبهولك تاني.

_بكرة يا فريدة بكرة.

"قالت أخر كلماتها وهي تجري في إتجاه الباب دون أن تودع أحد أو تلقي السلام على نادر حتى، ضحك كل من نادر وأمي على تصرف روان الغريب ولكني لم أضحك معهم، فكلما تذكرت ما حدث في الفرح يحمر وجهي وأشعر بالخجل منه.

أود أن أقوم كي أصفعه على ما فعل وبعد ذلك أقوم باحتضانه على ما فعل أيضًا.

تناول نادر معنا العشاء ثم غادر، أمسكت امي يدي ونظرت إلى عيني وقالت:

_بيحبك على فكرة..

_أيوا ما طبيعي يا أمي مش احنا صحاب؟ وبعدين أنا كمان بحبه..

_فريدة أنا مبهزرش نادر بيحبك..

_ أمي لو سمحت مش حابة أتكلم في الموضوع ده.

_ يابنتي صوابعك مش زي بعضها مش معنى إنك دخلتي في علاقة ومكملتيش يبقي كل الناس وحشة، وبعدين ما هو كمان كان متجوز قبل كدة ومنجحش في حياته ده معناه إنه فاشل؟ بالعكس ده يعلمكم إنكم متكرروش نفس أخطاء الماضي واعتقد أن أنتوا الأتنين أتعلمتوا كتير من علاقتكم اللي فاتت، قلتلك مرة وهقولك تاني أن العلاقة اللي هتدخليها بعد ما تكوني مريتي بعلاقة قبل كدة بتكوني أنجح فيها، لأنك بتكوني نضجتي بالشكل الكافي بأنك تحافظي عليها ومتقعيش في نفس الاخطاء اللي وقعتي فيها قبل كدة، وبعدين ربنا أهو الحمدلله عوضك ب روان وبقت رزق ليكي وضهر وسند وأكتر من اختك كمان، مش هقولك آن الأوان تتجوزي وأشوفك بالفستان وأشوف عيالك قبل ما أموت والكلام ده، بس هقولك أن الأوان أشوفك مرتاحة يا فريدة، مش هتعيشي طول عمرك بتصارعي نفسك وتجري ورا قلبك ومشاعرك، أقفي شوية خدي نفسك خلي قلبك ياخد قرار ولو لمرة واحدة وصدقيني مش هتندمي..

_ماما أنا تعبانة وعايزة أنام ممكن كفاية كلام لحد كدة؟

_هتفضلي طول عمرك جبانة وخايفة تواجهي مشاعرك؟ هتفضلي تهربي لحد أمتى يا فريدة؟

_ بصي أنا هدخل أنام دلوقتي والصبح هجاوبك على كل اللي أنتِ عايزة تعرفيه..

_لو جرالي حاجة هيبقي بسببك والله.

_بعد الشر عليكي ياست الكل، يالّا تصبحي على خير

(١٢)

مر أسبوع على أخر مرة رأيت فيها نادر، لم ألتقي ب روان كثيرًا في الفترة الماضية فقد كانت منشغلة بتحضير رسمتها للمسابقة التي اشتركت فيها سابقًا، كنت أشعر بملل حتي هاتفني نادر وقال لي ما رأيك أن نذهب للخارج اليوم؟ لم أعترض فكنت بحاجة إلى رؤيته.

_مفيش مرة الاقيكي بتقوليلي تعالى ننزل سوا شوية؟ ولا أنتِ مش بتحتاجيني غير في المشاوير وبس؟

_بص يا نادر هفهمك حاجة أنا لو اتصلت وقلتلك تعالى نخرج يبقي أنا كدة اللي عزمك وأنا مش هصرف عليك بصراحة..

_لاء اقنعتيني ونعمة الصحاب يا بنتي والله..

_عيب عليك، يالّا أطلبلي قهوة علشان مصدعة ومش فايقالك بصراحة.

_ أنتِ كويسة؟

_أيوا في إيه؟

_لا عادي بسأل..

_ طب قولي هتسافر تاني أمتى؟

_أقوم أمشي من دلوقتي؟

_لاء أستني لما تحاسب على القهوة الأول وتوصلني وبعدين أعمل اللي أنت عايزه.

_ مادية أوي، على العموم مش عارف بس احتمال مسافرش أو لو سافرت هتبقى بعد فترة مش دلوقتي.

_ يالّا أحسن علشان مش هلاقي حد يخرجني وأنت مش موجود.

_ليه فين روان؟

_ مشغولة اليومين دول عندها مسابقة للرسم ولو فازت هتتعرض في معرض للرسومات وهتبقى فرصة كويسة ليها وتقدر من بعدها تفتح معرض مستقل بيها وبرسوماتها.

_ربنا معاها.

_أعمل حسابك إنك هتحضر المعرض لو هي فازت علشان عايزاك تكون موجود معانا واحنا بنشوف الرسمة بتاعتها خصوصا إنها مورتهاش لحد ولا قالت هي عن إيه..

_اشمعنا؟

_معرفش والله بس هي قالتلي أعرفك.

_خلاص تمام..

"اشتاقُ لك يا أبي أكثر من أي وقت مضى، أنني على يقين تام لو إنك مازلت حيًا حتى الآن كنت ستنشلني من كل هذا، من الأفكار التي تصارعني، من الطريق الغامض الذي ينتظرني، من الماضي الذي يلحق بي، كنت سترشدني إلى الطريق الصحيح وتقول لي أي قرار يجب أن أتخذه وكنت ستقف جواري وتحميني من نفسي، كنت سأضع كفي الصغير بين يديك لأشعر كم هو ضئيل بجانبك فأطمئن وأذهب إلى النوم فمنذ رحيلك وأنا لا أستطيع النوم، لم أعثر على كف أشعر بجانبه بصغر كفي فأطمئن إنه يمكنه حمايتي.

منذ سقوطك يا أبي وأنا كفي فارغ ولا يوجد من يملأه.

جاء نادر ووضع كفي بين يديه ولكنني لم أقوى على أن أنظر إليه لأري هل كفي مضموم بداخله أم لا؟ فماذا لو نظرت ووجدت أن كفه لم يسع كفي؟ ماذا سوف أفعل حينها؟

تركت كفي بين يديك دون أن أنظر اليه، تنازلت لمشاعري عن الأمر بدلا من عيني

جاءت روان فجاءة فانتفضت لها في فزعة..

_خضتيني..

_موحشتنيش خالص على فكرة..

_طب بس علشان مبكلمكيش..

_ليه بس كده.. أنا زي صاحبتك حتى..

_ما علشان زي صحبتي برضه زعلانه منك.

_طب اصالحك ازاي والله كنت مشغولة وكان غصب عني.

_هكلمك في حالة واحدة بس.

_إيه هي؟

_إنك تكوني بعد كل الغياب ده خلصتي الرسمة خلاص..

_وقدمتها كمان..

_نعم؟ من غير ما أشوفها؟

_هتشوفيها والله أنا بس عايزة أعملهالك مفاجأة.

_ماشي لما نشوف أخرتها.

_طب قوليلي بقى بما أن صاحبك دكتور نفساني وبيقولوا عليه بيفهم ممكن تسأليه وتخليه يوضحلي ازاي حد يبقى مقتنع اقتناع تام أن أهله مثلا

أو أي حد في حياته ميت مع أنه عايش عادي جدا وبالرغم كمان أنه معندوش أي خلل في المخ أو هلاوس ولا حاجة.

_عادي..

_عادي إيه هو إيه اللي عادي؟

_ايوا والله عادي، الموت مش بس معناه أن جسمك يفارق الحياة وتدفني وخلاص الموضوع انتهي على كدة، بالعكس يا بنتي في ناس بتموت في اليوم بدل المرة ألف مرة وفي ناس بتموت قبل ما تتولد كمان، الموت أنواع.

_ازاي؟

_يعني مثلًا إن حلمك يضيع أو إنك تبقي عايشة من غير هدف ولا طموح زي إن حد ينزل من نظرك أو يأذيكي فيموت في عينك أو إن حد يبقي موجود ومش موجود في نفس الوقت اللي هو وجوده زي عدمه كدة زي ما بيقولوا، وحاجات تانية كتير جدا وبيبقوا كلهم زي الموت مبنحسش بيهم ولا بوجودهم ولا بنبقى حاسين بأي مشاعر تجاه الأشخاص دي أو تجاه الحياة ولا بنبقى حاسين بأي حاجة أصلا، بل بالعكس الناس اللي بتموت في الحقيقة ممكن نفتكرهم بحاجة حلوة ونقرأ على روحهم الفاتحة مثلا، إنما دول بنعتبرهم متولدوش أصلا!

أنا ممكن أموتك بالنسبالي وأنتي لسا عايشة بس ده بيبقى نتيجة لأنك أذيتيني مثلا، وجودك دايما بيضرني أو ملهوش لازمة أصلا في حياتي فأنا بنهي دورك هنا، تعرفي أن في ناس بتموت آلاف الناس في خيالها أو في دايرة حياتها والناس دول لا يعلموا عن الأمر شيء!

زي مثلا أن ولد يحس أن باباه دايمًا غايب عنه ومش قايم بواجباته تمامًا فيروح يقوله "أنت محسسني أني يتيم رغم إنك لسا عايش".

لما شخص يبقى وجوده زي عدمه يبقي ساعتها مات بالنسبة لينا أحنا كبشر بس لما ربنا يأذن ويعلن عن انسحاب روحه ويدفن تحت الأرض يبقى وقتها مات في عينيكوا كدولة.

_ايه الكلام التقيل ده! الظاهر أن مش نادر لوحده اللي طلع بيفهم..!!

_تصدقي أنا غلطانة إني بتكلم معاكي؟ قومي أمشي بقى.

_طيب قبل ما أمشي متنسيش تعرفي نادر أن الأسبوع الجاي هنروح المعرض علشان نشوف مين هيكسب..

_مفيش حاجة اسمها مين هيكسب..!!

_مش فاهمة!!

_يعني الأسبوع الجاي كلنا هنروح علشان نشوف روان وهي بتكسب..

_طيب ما أحنا ممكن نشوف روان وهي بتحضن فريدة دلوقتي..

_أنا بحبك أوي يا روان أنتِ أحسن حاجة ممكن ربنا يكون عوضني بيها..

_طب ونادر؟

_ أقولك حاجة بس بجد المرة دي؟ أنا حاسة أني بغرق يا روان..

_أقولك أنا بقي حاجة؟ أنتِ غرقتي خلاص يا فريدة..

_ أنا خايفة..

_نادر ميتخافش منه صدقيني اللي زي نادر ده يتحب وأنتِ مغمضة.

_لازم يجي وقت وأفتح، وخايفة من اللي هشوفه وقتها.

_هتشوفي نفسك وأنتِ في حضنه، متخليش خوفك من الماضي يخسرك

المستقبل، أرمي كل حاجة بين ايديه وهو كفه هيكفيكي صدقيني..

عم الصمت علينا ف ضمتني روان إليها وظلت تتلاعب بأصابعها بين خصلات شعري المبعثرة، أغمضت عيني وتركت العنان لروحي وشكرت الله كثيرا على أنه عوضني بها، دائما أراها تقول لي "أراكِ تعويضًا من الله على كل مكروه حدث لي أشكر الله كثيرًا على أنه رزقني بك" ولكن ما أخفيه عنك هو أنكِ أنتِ رزقي وليس العكس، أنكِ أنتِ عوضي من الله عز وجل، أنني أنا من يجب عليها أن تحمد الله عليكِ ليس أنتِ، من دونك كنت تائهة ليس لدي مأوى أو صديق أميل عليه في العسر كما يقولون، ولكن عندما جمعنا القدر كل شيء أصبح مختلف، وكأن حقًا جاء كل منا ليعوض الأخر عن شيء ما، حتي أصبحنا نكتمل ببعض، عندما يغيب شخص عن الأخر يشعر بالنقص، لذلك أنكِ أكبر من كونك صديقة فيمكن قول أنكِ وطن، ولكن وطن لي فقط..

أرسلت إلى نادر كي أذكره بموعد اليوم في المعرض، وأكدت عليه الحضور مبكرًا، كنت مشغولة في محاولات لاطمئنان روان بأنها ستكون هي الفائزة بينما هي كانت منشغلة بمظهرها التي ستبدو عليه اليوم، ضحكت في سري على أنني لازلت أحمل هم الأشياء بطريقة أكثر من اللازم حتى مع الأشخاص المقربين إليّ..

أنا أحب روان لذا أريد دائمًا أن أراها سعيدة..

وصلنا إلى المعرض وكان نادر في انتظارنا، دخلنا أنا وهو وروان وجلسنا منتظرين النتيجة عن من سيكون الفائز، بعد نصف ساعة من التوتر والقلق استوقفنا صوت أحدهم وهو يعلن عن أن روان هي الفائزة، قمت باحتضانها

وبعد ذلك تقدمت هي كي تستلم لوحتها التي كانت رائعة للكل عدا أنا ونادر..

أخبرتني روان من قبل إنها تود أن تفعل مفاجأة خاصة لفريدة لذا قررت أن تقوم برسمها وقالت لي ألا أخبر فريدة بشيء، ولكن ما حدث كان عكس ما قالته تمامًا، فقد قامت روان برسمي أنا وفريدة عندما كنا نرقص في الفرح الخاص بأقارب فريدة، كانت الرسمة مرسومة بدقة شديدة وكأنها ليست رسمة قط، فقد قامت رسمها بطريقة حرفية للغاية، فقد ألتقطت لنا صورة عندما كنت أميل بجسدي على فريدة ويدي ملفوفة حول خصرها وشعرها مبعثر ويدها ممسكة برقبتي وأعيننا في أعين بعض وقامت برسمها، كانت الصورة تدل على أننا عشاق ولا يوجد شك من ذلك..

قمت أنا وفريدة التي ظهرت عليها علامات الدهشة مثلي تمامًا، كنت أشعر بشعور غريب، خفق قلبي فور رؤية الرسمة وتذكر فريدة وهي بين أضلعي، لم أستطع منع نفسي ووجدتني أقول بصوتٍ مسموع..

"كل السقوط يطوح بي أرضًا إلا السقوط معك يرفع بي إلى السماء".

في نفس اللحظة التي تفوهت فيها فريدة بشيء جعل قلبي يخفق بشدة ونظر كل منا إلى الأخر بذهول نتيجة لما سمعه..

سارت قشعريرة في جسدي عندما تذكرت اللحظة التي كنا نرقص فيها أنا ونادر ثم مال بجسده عليّ بنفس الطريقة التي رسمتها روان، كانت مفاجأة قوية بالنسبة لي لم أشعر بنفسي وأنا أقول بصوت عال..

"كل الأماكن التي أسقط فيها تتسبب في كسر جزء ما بداخلي إلا السقوط بين يديك"

كل الأشياء تصبح مختلفة عندما تبدو بصورة واضحة، تبدو مخيفة في بعض الأحيان، وتبدو قابلة للفقدان في وقتٍ أخر ربما تبدو قابلة للرحيل.

لا شيء يجعل قلبي يتألم حقًا سوى تفكيري المفرط في كل شيء، تفكيري في أن سيأتي يوم ولن يصبح نادر معي، أعلم أن كل الأشياء قابلة للرحيل ولكن ماذا سوف يحدث لو رحلنا معًا؟ إلى دنيا ليست فانية..

أعلم إنه يحبني كل شيء يفعله يدل على ذلك، أنا أيضًا لم أنكر إنني أشعر بالحب تجاهه ولكني خوفي من فقدانه أكبر بكثير من حبي له..

هو لم يكن لديه علم بأي شعور أحمله بداخلي له، ولكن ربما بعد الذي حدث في المعرض يجعله يفكر في الذي أخاف أن يفكر به، لا أعلم كيف حدث ما حدث، ولكننا تحدثنا في نفس اللحظة وكل منا سمع الذي قاله الأخر، نظر لي حينها نظرة تحمل الكثير من المعاني، ولكنه لم يتحدث، شعرت بالتوتر واحمرت وجنتي، وشعر هو بذلك فقرر أن يتعامل وكأن شيء لم يكن، لم يتحدث ولم يعلق على كلامي بشيء، ولكنه كان يبدو إنه سعيدًا، فهدأ هذا من توتري قليلا، ولكن هذا لا يمنع أن كلما أتذكر إنه لم يعلق على ما قلته يخفت قلبي قليلًا..

ففي بعض المواقف نحتاج إلى تجاهل مزين بقليل من الاهتمام.

(١٣)

أجلس في مكانٍ غريب، لا أعلم ما هو، لا أشعر بشيء، ولكني أشعر بتكوني، ها أنا أنمو بداخل هذا المكان، لا يوجد أحد سواي، أري شريطاً يمر أمامي، أري فيه أشياءٍ غريبه لا أعلم ما هي، أوجاع، فساد، ظلم، هلاك، عالم أخر غير الذي أتواجد به الآن، هذا الشيء الذي يمر أمامي يقلقني، ها أنا أنمو بشكل أسرع، الأيام هُنا تمر ببطء ولكني لا أريد أن أخرج، لا أعلم ما الذي سوف يحدث بعد ذلك، ولكني أشعر براحه هُنا على الرغم من أنني وحيد، لا يوجد وجع هُنا، لا يوجد شيء يؤذيني، لا يوجد أي مخاطر، ولكني مهلاً أنني أنمو بشكل مبالغ فيه، المكان هُنا يضيق عليّ، لا أستطيع التحرك، بعد فترة ليست كبيرة شعرت بأشياء غريبة حقاً، كما أنني أيضاً أشعر بأيد تتجه نحوي، لا أعلم أهي يد نجاة أم هلاك؟ لا أعلم شيء سوى أن هذا المكان كان يحميني وأصبح يضيق عليّ، هل من الممكن إنه ليس مكاني منذ البداية؟ لا يمكنني الاستيعاب كما أن الأيد تتجه نحوي أكثر، أركض بالداخل، أحاول الابتعاد، لا أستطيع فأحاول مرة أخري ولكن لا محاله، أشعر به وهو يمسك بيّ لكي يجعلني أخرج من هذا المكان، لا أريد الخروج، علمت إنني أمكث في بطن والدتي، لا أعلم من أين علمت ذلك، كما أنني أيضا علمتُ إنني عندما أخرج إلى مكاني الجديد سوف أراها، ولا يوجد أحد على الأرض سوف يحبني ويخاف على مثلها، الأيد تمسك بي وتخرجني أكثر، أشعر بالاستسلام، ولكني أصرخ! لا أتقبل هذا الوضع! مهلاً أنني حقاً جئت إلى مكاني الجديد، ما هذه

الأشياء أشعر وكأنني رأيتها منذ قبل لا، لا يمكن ذلك، هل ذاك الشريط الذي كان يمر أمامي هو حياتي الجديدة؟ أيعقل هذا؟ نعم هو، الذي يحدث الآن كان أول شيء أراه في الشريط، لا.. أعيدوني من حيث جئت، أريد أن أعود داخل والدتي، أصرخ أكثر، صوت صريخي يملأ أركان الغرفة، أشعر بيد تضمني إليها، هل من الممكن أن تكون هذه أمي؟ يا أمي إن كنتي حقاً تحبينني وتخافي على من الهلاك أعيديني إلى داخلك، أعيديني إليكِ مرة أخرى فأنا لن أتحمل هذا..

قاطع أفكاري رنين الهاتف فتركت قلمي بجانبي وأجبت على نادر.

_أنتِ فين؟ عايز أشوفك.

_أنا قاعدة على البحر شوية تعالى..

_هعدي عليكي..

_هستناك..

بعد قليل جاءني نادر وجلس بجانبي.

_بتعملي إيه؟

_خضتني، كنت بكتب..

_المعرض قرب وهتتشهري وتنجحي وتنسيني بقى..

_لا طبعا ده أنتَ السبب في كل ده.

_ أنتِ اللي موهوبة.

قال كلماته الأخيرة وهو ينظر إلى عيني مباشرة، فعانقت عيناه عيني فشعرت بالارتباك ثم نظرت إلى البحر فورًا ولم أجب عليه، عمَّ الصمت قليلًا أما أعيننا كانت تتحدث.

كان قلبي يندفع مني ونبضاته كانت فاضحة، عروق يديه كانت بارزة بشكل يُغريني كي أدفن يدي بين يديه، كان الطقس شديد فكنت أحتاج إلى عناقه لتشعر روحي بالدفء، كان كل شيء حولي يدعوني للالتصاق به.

كان الصمت معها له طعم أخر، كل شيء يبدو مختلف عندما تكوني معي، كان الهواء يلعب بخصلات شعرها ويتطاير بهم، فيجعلها تبدو في صورة أجمل مما هي عليها، كانت شاردة وتتأمل في البحر، قطعت صمتها فجاءة ونظرت إليّ.

_بتحب البحر؟

"لا.. ولكنني أحبك"

_طيب بتعرف تعوم؟

"لا أجيد السباحة ولكن أجيد حبك"

_أنت مش بترد عليا ليه؟

_حابب أشوفك وأنتِ بتتكلمي شكلك بيبقى حلو وأنتِ سرحانة.

_نادر مش ناوي تقولي أنت بتعمل معايا كدة ليه؟

_هيفرق معاكي؟

_أكيد، وبعدين أنت وعدتني إنك في المرة التالتة هتجاوب على سؤالي وأنا أهو بسألك لتالت مرة جاوب بقى..

_مش عارف.

_نعم؟

_صدقيني مش عارف، بس أنا برتاح وأنا معاكي مش قصدي..

_أومال قصدك ايه؟

_قصدي أني بطمن بيكي.

_أنا مش فاهمة حاجة..

_فريدة أنا بحس إني عملت حاجة كبيرة لما بخليكي كويسة، حاسس إني مرتاح لما بقيتي أحسن، بفرح لما ألاقيكي بتضحكي، وقلبي بيتقطع لما بيكون فيكي حاجة، صوتك بيطمن قلبي، قربك بيخليني أحس بالدفا، ريحتك بتخليني أعرف أتنفس، لما بتكوني قريبة مني بحس أني عايش، أنا عايشك يا فريدة، كل مرة بشوفك بتعلق بيكي أكتر من المرة اللي قبلها، أنا عارفك قبل ما أنتِ تعرفيني، أول مرة شفتك فيها خطفتي قلبي وشغلتي تفكيري، وبعديها أتقابلنا تاني، تفتكري القدر قرر إنه يجمعنا ببعض ليه؟

_نادر أنا..

_فريدة أنا بحبك، وأنتِ كمان بتحبيني، وعارفة أني بحبك كل حاجة كنت بعملهالك كانت بدافع الحب، مش عايزك تحبيني بس عايزك تفضلي جنبي، خدي وقتك ومساحتك وفكري ومش هضغط عليكي...

"أمسكت يديها وضغطت عليها والدموع تكورت في عيني"

_فريدة خليكي، أوعديني إنك عمرك ما هتمشي، وأنا اوعدك إني هبقالك وعمري ما هوجعك، حتى لو مبتحبينيش، أنا واثق إن حبي ليكي كافي إنه يخليكي تكملي معايا، أنا من ساعت ما شوفتك وأنا مش شايف غيرك، أنا بحبك بكل ما تحمله الكلمة، بحبك بوجعك قبل فرحك بدموعك اللي كانت أول حاجة أشوفها فيكي قبل ضحكتك اللي علقتني بيكي أكتر، فريدة أنا روحي متعلقة بيكي وبوجودك، مش عايز منك رد، بس مش عايزك تمشي حتى لو مبقاش عندك رد..

أعذرني فإنني مليئة بالخيبات من بعض البشر بل من البشر جميعًا، فليس من السهل أن أثق بك وأثق إنك لن تعلقني بك ثم ترحل بعد كل الذي رأيته، بالرغم من إنني احتاجك وأعلم إنك لست مثلهم، ولكن أعذرني فأنا أحتاج لبعض من الطمأنينة من حين لأخر لتثبت لي إنك فريدًا ولست مثلهم.

فماذا لو وضعت قلبي بين يديك ثم تركته يسقط منك دون أن تدري؟

_نادر أسمعني، منكرش أن في شعور من ناحيتك جوايا بس أنا خايفة عليك..

_مفيش حاجة تخليني أخاف وأنتِ موجودة.

_أنا محتاجة أبعد.. مش عايزة أحس أني أخدت خطوة أنا مش قدها مش عايزة أكون بظلمك معايا سيبني أتأكد من حبك وأنت كمان خد وقتك علشان متكونش أتسرعت، عايزة أتاكد أني بحبك مش أني بحب نفسي وأنا معاك..

_أزاي إيه الفرق؟

_الفرق كبير يعني في فرق بين أني علشان بحبك فحابة نفسي وأنا معاك وفرق بين أني حابة نفسي وأنا معاك علشان كدة أنا معاك، أنا أسفة بس أنا مش هقدر أقولك أي حاجة غير لما أتأكد أن فعلا في حاجة..

_براحتك.. أنا قلتلك أني مش هغصبك على حاجة بس أوعديني أن حتى لو مكانش في حاجة إنك هترجعي تاني، أنا قابل أننا نكون صحاب وبس صدقيني أي حاجة حلوة مادامت هتبقى منك فأنا عايزك تعرفي أني مستعد أكون معاكي تحت أي مسمى بس المهم أني أكون معاكي

_أوعدك يا نادر..

_هتوحشيني..

_حرفيًا وأنت كمان، خلي بالك على نفسك..

_وأنتِ كمان..

انتظر الليل بظلامه وسكونه وهدوئه ونجومه وقمره، انتظره كي اختبئ بداخل وسادتي وأشارك دموعي وشهقاتي ما تبقي من ليليّ، أنتظره لأنه بالرغم مما فيه من هدوء إلا إنه يمكنه أن يتحمل ضَجيجي والبَعثرة التي بداخلي دون الافصاح عن الأمر، عكس الصباح تمامًا، فالصباح يُعريني، يجعلني أشعر إنني عارية ومكشوفة أمام الجميع، يظهر في جسدي علامات زرقاء يَتسَاءَل عنها الجميع، يَحوط السواد حول عيني، يتحول وجهي إلى لون أصفر شاحب، فاضطر إلى خداعهم تحت مُسمى "لم يكن لدي وقت كافي للنوم، لذلك لم ينل جسدي قسط كافٍ من النوم، فيخدعوني هم أيضًا بِأنهم يصدقونني، لذلك فأنا لا أحب النهار قط، فالليل هو حاجبي الذي يمنع العالم من رؤيتي أثناء انهياري.

(١٤)

_قاعدة لوحدك ليه؟

_تعالي أقعدي

_مش حابة تتكلمي؟

كانت الدموع متحجرة في عيني، فنظرت لها وهززت رأسي بمعنى لا، فابتسمت لي روان وضمتني بين يديها، وظلت تربط على يدي..

أتعلمي يا صديقتي، الأمور هُنا سيئة للغاية، أجلسُ في نهايةِ كُل يومٍ انتظر أشياءًا لم يَعُد لها وجود، أقنع نفسي دائمًا بِأنها هُنا، وإنها لم تذهب، أحاول أن أرى بَريق الأمل الذي يلمع في نهاية الطريق، ولكن كُلما اقتربت منه كلما أبتعد عنيّ، الصُداع النصفي سوف يأكل رأسي، أم رُبما يَحدث حالة انفجار للمخ من كُثرة التفكير في اللاشيء، لا أعلم ولكني لستُ بِخير، على الرغم من كُل هذا الثبات الذي أبدو عَليه..

_ليه اختارتي البعد بالرغم من إنك محتاجاه؟

_علشان أنا مفيش جوايا أي حاجة أقدمهاله في القرب، علشان أنا خايفة يا روان

_ليه بتقارني يوسف ب نادر؟

_أنا مش بقارن صدقيني، وبعدين أنا نسيت يوسف بس منستش وجعي وكسرتي، أنا بحب نادر وعلشان بحبه بعدت، أنا مش حمل أني أقرب وأتعلق بيه أكتر وفي الأخر يمشي زي اللي مشيوا.

_بس هو وعدك يا فريدة..

_مش بالسهولة دي..

_يعني أنتِ عاجبك حالتك دي؟

_أوعدك أني أول ما أتأكد أني فعلًا بحبه هرجعله..

_مش فاهمة..

_يعني أنا خايفة أكون متعلقة بيه كل ده ومش بحبه، متنسيش أن نادر ظهر في أكتر وقت أنا كنت عطشانة فيه وكنت جافة، خايفة لما ارتوي كفاية، أحس أني مبحبهوش علشان كدة قررت أني أبعد لأن في البعد هقدر أحدد مشاعري وبعدين متخافيش أنا كويسة..

_أنا جنبك ومعاكي لحد ما توصلي لقرار...

_وأهو ده أكبر سبب يخليني أكون كويسة..

علمت من ذي قبل أن القلب يتألم أولًا، ولكني عقلي محطم فماذا عن قلبي إذا؟

دمتِ بعيدة ودمت أنا منتظر رغم كبريائي ورغم كل شيء..

منذ قررت هي الرحيل وأنا حالي يتدهور كل يوم، الأمر لا يحتاج إلى تكاليف بل يحتاج إليها، أبحث عنكِ في كل مكان ولم أجدك إلا بداخلي، لِما فضلتي الغياب؟ ألم يرهقك البعد مثلما أرهقني؟ أليس وجودنا سويًا كان أفضل من كل هذا الوجع؟

ما أشبهك بديسمبر ولكنكِ باردة طوال العالم..

جسدي ساكن لا يتحرك وفي الجهة المقابلة تتشبث أفكاري وتقضي عليّ.

يؤسفني قَول هذا، ولكن حسنًا سأعترف، إنني تحطمت، أصبحت كالزجاجة المُبعثرة في كُل ركن ولا تَقوى على الالتمام والرجوع كما كانت،

أصبحتُ هشة، بإمكان عاصفة من الرياح أن تهزمني وتسقط بيّ أرضًا، وصلت إلى خِسارة المُباراة قبل بدايتها، يُمكنني قول أن الجحيم أصبح بداخلي وليس في الأخرة..

أعلم أنني من قررت الرحيل ليس أنت ولكني فعلت هذا أملًا في أن أصبح بخير، ولكن لا شيء سوف يكون على ما يرام من دونك، لا شيء سوف يتحسن في غيابك، يتحطم العالم في عيني عندما لا تكون في الصورة، أنني على يقين تام بأن كل التحسن يعود إليك، فروحي ترتوي بابتسامة منك، وتنبت عندما تكون بين أضلعي، أتكئ عليك في العسر وتتشبث بيدي حتى تصل بي إلى اليسر، العالم أصبح يتمثل فيك وبك لذلك لا تسحب روحي مني بغيابك حتى وإن كنت أنا صاحبة القرار فإنه حقًا يقتلني..

لن أمانع إذا جئت ووضعت يدي بكفيك وهمست في أذني إنك ستبقى غصبًا عني، لن أمانع إذا قلت لي من البداية "لأ"، لِما لم تفكر في إنني كنت بحاجة إلى سماع منك كلمة تعارض تفكيري ومخاوفي؟ لم ذهبت بهذه السهولة دون أن تراجع معي قراري، أعلم إنك تريد أن تجعلني أفعل ما أريد، ولكن أليس لك علم بأنني كل ما أريده هو أنت؟

_الجميل ماله؟

_بكرة عيد ميلاد نادر

_ومالك مش مبسوطة ليه؟

_أبسط ازاي واحنا مبنتكلمش أصلا يا ماما؟

_طيب يابنتي ما هي دي فرصة إنك تكلميه وترجعوا تاني تتكلموا...

_أنتِ شايفة كدة؟

_أنا مش شايفة غير كدة صدقيني..

مهلًا عزيزي، يا مَنْ تملكت قلبي، انتظر لحظة، أريدك في أمر هام، أتظن إنني لم أتذكر أن أهنئك في تلك المناسبة؟ الأمر لم يكن كذلك، بل كيف تطلب مني أن أتمني لك أن تكون كُل عام بخير وأنا أردد ذلك كُل لحظة؟ كيف لك أن تُخطئ في حق نفسك وتطلب مني أن أدعوا لك بالسعادة بدلًا مِن أن أدعوا لك بالمكوث طيلة الوقت بين أضلعي، أليس هذا أسعد بالنسبة لك؟، أم لك رأي أخر؟، كيف لي أن أتمني لك شيئًا بدلا مِن أن أتمني أن تكون أمامي دائمًا كي أتمكن مِن إشباع رغبتي في النظر إليك، ألم تعلم أن عيناك هي منظاري؟، يا لك من أبله لا تفهم شيء، ألم تكن هذه جريمة في حق نفسي أن تمنيتُ لك عام أفضل بدلًا مِن أن أتمنى طيلة وجودي في حياتك، كيف لك أن تتحسن أعوامك في غيابي؟ يمكنني التوصل إلى أمرٍ سهل، ما رأيك أن نضمن الوقت الذي سوف يُهدر في التهنئة، وأن تهديني ذِراعِيك لكي أضمهم حول خصري وأدفن رأسي بين أضلعك، وأن استنشق هوائك؟ لعل هذا يرضي كُلًا مِنا؟

(١٥)

قررت اليوم أن أذهب إلى نادر في مكتبه، أرسلت رسالة إلى السكرتيرة الخاصة به كي أسألها عن مواعيده اليوم وأكدت عليها عدم إخباره بمجيئي إليه..

ارتديت فستانًا سماوي اللون ووضعت أحمر شفاه، وتركت شعري متحررًا وراء ظهري

اشتريت له قميصًا أبيض اللون ووضعت في جيبهِ ورقة مطوية بداخلها كلمات قد كتبتها له حتى يتمكن من قرأتها عندما يرتديه..

ذهبت إلى العيادة في الوقت التي أخبرتني عليه السكرتيرة، ترددت كثيرًا قبل دخولي كنت أشعر بالخجل والتوتر والاشتياق أيضًا، كنت اشتاق له ولرائحته ولبسمته والطريقة التي يتحدث بها، ونظرته عندما يكون غاضب، واحمرار وجهه عندما يشعر بالغيرة كنت اشتاق لجميع تفاصيله..

أبشر أنت أم نبض ينبض بداخلي؟

في النهاية دخلت إلى العيادة ووجدتها فارغة والسكرتيرة لم تكن موجودة، سمعت صوتًا بالداخل وباب المكتب لم يكن مغلقًا فدخلت إلى نادر في مكتبه ويا ليتني ما دخلتُ إليه، يا ليتني تنازلت عن قراري هذا قبل أن أرى ما رأيته الأن، سقطت هديته في الأرض مع سقوط فرحتي ودموعي، نظرت له بعينٍ باكية ثم ذهبت على الفور..

أقف في وسط الطريق، أشاهد حبات المطر وهي تتساقط على وجهي، وتمتزج بها دموعي، لا أستطيع أن أميز كثرة الماء التي على وجهي أهي من أوجاعي أم من السماء؟ لا فرق فكُلها تتساقطُ في الأرضِ، ولكن مهلاً فالناس أجمعين يكترثون للمطر، هل يمكنك إخباري من يكترث لدموعك؟ هل علمتُ الآن أن يوجد فرق بينهما؟

صرت في الشوارع ولا اعلم متى عدت إلى المنزل ولكني دخلت إلى غرفتي واغلقت الباب على حتى لا يدخل لي أحد ف أنا لم يعد لدي القدرة على فعل شيء، أصبحت انتظر قدوم الليل لأجلس في الظلام دون أي أضواء، لا أريد أن يشاركني أحد ليلي الحزين، كما أنني لن أسمح للموسيقي أن تحتل جزءًا من انتباهي فاغلقها على الفور، أخفض ضوء الهاتف لكي لا يزيد الارهاق في عيني فأنني أعتقد الدموع تكفيها لكي ترهقها، لو أنني أقدر أن أقل من معيار تلك الدموع التي تنزل دون أن تمل من النزول لكنت فعلت، ولكنها الشيء الوحيد التي لا تتوقف عن مشاركتي، فيما بعد أصبحت جثة هامدة، لا أقوى على فعل شيء سوى البكاء، ولكن ماذا بعد، نظرت إلى السماء من خلال النافذة ثم اجهشت بالبكاء، أخبرني يا الله أن ما رأيته كان غير صحيحًا، أخبرني يا الله إنه مازال ملكي ومازلت أحتل قلبه، أخبرني أن شعوري الآن ما هو إلا تخاريف ولم يحدث شيء، أخبرني يا الله فأنا لم يعد لدي طاقة لفهم شيء..

_أنت فين؟

_إيه يا نادر في إيه؟

_بقولك أنت فين؟

_أنا لسا في المستشفى..

_طيب خليك عندك أنا هعدي عليك دلوقتي..

"ذهبت إليه مسرعًا"

_إيه يا ابني في إيه؟ خضتني عليك..

_فريدة يا محمد..

_مالها فريدة؟

_هحكيلك، أنا كنت قاعد في العيادة بعد ما خلصت شغل..

_كدة في إيه مواعيد تاني النهاردة؟

_لا يا دكتور..

_طيب أنا هقوم امشي علشان تعبان، وانتِ كمان يالّا علشان تروحي..

_لأ مش هينفع تمشي..

_ليه؟

_أولًا كل سنة وحضرتك طيب، ثانيًا عندك معاد خاص..

_مش بتقولي مفيش مواعيد تاني؟

_لأ ما هو الحقيقة إنها جاية لحضرتك بخصوص عيد ميلادك..

_هي مين؟

_يستحسن تستني وتشوفها بنفسك..

_طيب خلاص تقدري تمشي أنتِ لو عايزة علشان الوقت أتأخر وأنا هفضل قاعد..

"ذهبت السكرتيرة وجلست وحدي في انتظارها، كنت أأمل أن تكون فريدة، بعد قليل وجدتُ رائحة جذابة ويد تضع حول عيني وصوت أنثوي..

_وحشتني

_ياسمين!! هو أنتِ؟ إيه اللي جابك هنا؟

_أنا كنت معدية بالصدفة قدام العيادة قلت أطلع أشوفك وملقتش حد برا فدخلتلك..

_عايزة إيه؟

خرجت مني الكلمات بطريقة حادة، اقتربت مني ووقفت أمامي مباشرة ثم قالت:

_النهاردة عيد ميلادك كل سنة وأنت طيب يا حبيبي..

_ياسمين أعتقد أن كل اللي بينا انتهي ف ملهاش لازمة طريقتك دي..

"وضعت يدها حول رقبتي واقتربت مني أكثر"

_وحشتني يا نادر، صدقني أنا ندمانة على كل اللي حصل..

"وضعت يدي على يدها كي أزيلها من عليّ، ولكني فوجئت بوجود فريدة أمامي، شعرت بالصدمة كنت سأشرح لها ولكنها ذهبت قبل أن تسمعني، ف صببتُ غضبي كله على ياسمين

_أنتِ إيه يا شيخة مبتزهقيش؟ جاية عايزة إيه؟ دمرتي حياتي قبل كدة ولما أتصلحت راجعة تدمريها من تاني؟ لأخر مرة بقولهالك يا ياسمين أبعدي عني وعن حياتي كلها وأقسم بالله أنا لو خسرت فريدة بسببك مش هيحصلك كويس سمعاني؟ واتفضلي أطلعي برا...

_وبس يا محمد ده كل اللي حصل اتصلت بيها مبتردش وبعديها تليفونها أتقفل ومش عارف أوصلها...

_يعني أنت عايزها تشوف ياسمين في حضنك وترد عليك عادي كدة؟

_محمد مش وقت هزارك..

_طيب خلاص، معاك رقم روان صحبتها اللي قلتلي عليها قبل كدة؟

_أيوا بس هتعمل بيه إيه؟

_هكلمها أشرحلها اللي حصل، وهي الوحيدة دلوقتي اللي هتقدر تتكلم مع فريدة وتفهمها..

_ما أنا لو معايا رقم روان مكنتش جيتلك..

_طيب والحل؟

_أنت بتسألني أنا؟

_بص مفيش حل غير إنك تحاول توصل لروان لأن هي الوحيدة اللي هتوصلك بفريدة..

أنتم لا تدرون كم من مجهودٍ يتطلب مني فعله كي أحادثكم، لا تدرون كم من معارك أخوضها يوميًا وحدي، لا تدرون كم من حطام يحدث لي، كم من انفجار يحدث في عقلي نتيجة لأفكاري المبعثرة، أنتم لا تعلمون ما الذي أفعله كي أظهر أمامكم بكل هذا الثبات الذي أبدو عليه، لم يكن عندكم علم بكم الهزائم التي تسقط بي أرضًا ثم ألملم شتات نفسي وأنهض مرة أخرى، أنتم لا ترون الوجهة الشاحب الذي يكسوه ضحكة زائفة كي لا يشغل تفكيركم أمري، ولكنكم بعد أن علمتم بكل ما لم يكن لديكم علم به ما الذي سوف يحدث؟ هل سأشغل تفكيركم؟ هل ستتصلون بي فالرابعة فجرًا كي تخبرونني أنكم تحبونني وتبعثون لي بعض الطمأنينة؟ هل ستحاوطونني من مخاوفي وتقفوا أمامي من الوحش الذي بداخلي وتحمونني؟ هل سترسمون وردًا يُزين السواد الذي يحوط عيني؟ هل ستبعثون لي حلًا لشيء؟ أم ستكتفون بهز رؤوسكم كي تؤكدون لي أنكم تفهمونني وتنصتون إليّ، ما رأيكم أن نختصر كل

ذلك وأقول لكم أنني بخير بدلًا من أن أبث عليكم كل هذا وفي النهاية ترددون لي أن كل شيء سيكون على مايرام وأجعلكم تكذبون أمام الله وأمام أنفسكم كي تطمئنوني مع العلم أن لا يوجد شيء سيكون على ما يرام؟

توقفوا عن مُداوية انفسكم بالكذب، فلا يوجد شيء يتحسن بل الأمر يزداد تدهورًا.

لا يوجد شيء يحدث سوى إنني أعود مبعثرة ألملم ما تبقى من روحي من كثرة الخذلان، لا يوجد تغير، لا أعلم ما الذي أريده ولا أعلم بماذا أشعر ولكني لست بخير..

لم أنم الليلة ظللتُ مستيقظة حتى صباح اليوم التالي، لم أجعل أمي تشعر بشيء حتى لا تقلق عليّ تعاملت وكأن شيئًا لم يكن وأنا أمامها، كنت أتهرب من أن أنظر إلى وجهها فهي تفهمني من نظرة عيني..

كنتُ وحدي حولهم، أفكاري كانت تصارعني وتلحق بي، في الوقت الذي كان يصدق فيه الجميع إنني بخير..

جاءتني روان ولاحظت شيء كانت ستسألني ولكني نظرت إليها ففهمت إنني أودها أن تصمت، دخلنا إلى غرفتي سقطتُ بين يديها فور أغلاق باب الغرفة، بكيتُ وكأنني لم أبكِ من قبل، ضمتني إليها وأنا أبكي وحاولت أن تهدئني دون أن تتسأل عن الأمر، كان يهمها أن أكون بخير ليس إلا، بعد أن هديت قصصت عليها كل ما حدث ليلة أمس..

_مش معقول ده يحصل أكيد في حاجة غلط..

_بقولك كانت في حضنه وشفتهم بعنيا فين الغلط في كدة؟

_نادر مستحيل يعمل كده يا فريدة..!!

_مفيش حاجة اسمها مستحيل، شفتهم بعيني يا روان كانت حضنها وهو كان واقف.

_طيب أهدي صعب عليا أشوفك كده..

_مفيش أصعب من اللي شفته امبارح صدقيني..

_الو

_مين معايا؟

_أنا روان صاحبة فريدة..

_بجد؟ روان أنا عايزك ضروري..

_أنا كمان عايزاك..

_تمام نتقابل الساعة ٧ هبعتلك العنوان..

شعرت باسترداد روحي من جديد، كنت أأمل أن تساعدني روان في رجوعي إلى فريدة مرة أخرى، فهي بمثابة كل شيء بالنسبة لي ولن أستطع العيش بدونها..

ذهبت إلى المكان المتفق عليه ف وجدتها في انتظاري...

_أنا أسف على التأخير....

_ولا يهمك أنا اللي جيت بدري...

_فريدة عاملة إيه؟ طمنيني عليها تليفونها مقفول بقاله أسبوع ومش عارف أوصلها.

_في الحقيقة هي مش بخير، فريدة حكتلي اللي حصل يوم عيد ميلادك.

_صدقيني يا روان في سوء تفاهم والله ما في بيني وبينها أي حاجة خالص.

_مصدقاك وعلشان كدة أنا كلمتك وجيتلك خصوصًا أن فريدة حالتها بتسوء أكتر.

"قصصت عليها كل ما حدث من البداية حتى مجيء فريدة"

_أنا هحاول أتكلم معاها وأفهمها اللي حصل، هي بتحبك علشان كدة موجوعة بس أوعدك أني هحاول معاها على قد ما أقدر..

_أنا مش عايز حاجة غير إنها تبقى كويسة وتصدق إني مخنتهاش.

_أنت بس سيبها الفترة دي شوية لحد ما تهدي وأنا هبقى أطمّنك عليها..

مر ثلاثة أشهر، كل شيء يمر ببطء، أخبرتني روان بما حدث معها هي ونادر، طلبت منها عدم فتح هذا الموضوع مرة أخرى..

شيء بداخلي كان يقودني إليه والأخر يدفعني بعيدًا عنه..

قلبي يصدق ما قالته روان وعقلي لم يصدق سوى الصورة التي رأيتها ولكن الشيء الوحيد المتفق عليه هو أنني اشتقت إليه.

ذهبت إلى البحر كي أجلس أمامه قليلا، ولكني وجدته هناك كان يقف حزينًا، شعره كان مبعثر، ملابسه كانت غير مرتبة عيناه كانت مطفأة، نزلت دموعي فور رؤيته، ارتجف قلبي عندما رأيته بهذا الحال، جمعت قوتي وذهبت قبل أن ارتمي بين يديه..

_فريدة

"صعق قلبي ووقفت جميع حواسي عندما سمعته ينادي عليّ"

كنت أعتقد أن اسمي ليس مميز إلا عندما نطقته أنت..

لم استدر له وظللت واقفة في مكاني، اقترب مني فشعرت بأنفاسه تخترقني..

بِت أربط على قلبي طيلة الفترة الماضية وجئت أنت فككته بنظرة منك.

_استنى متمشيش

_ ....

_أنا عارف إنك مش عايزة تشوفيني تاني، بس أنا عايزك تسمعيني، فريدة أنت كنت باجي هنا كل يوم طول التلات شهور اللي فاتوا على أمل إني أشوفك، أوقات كنت بلاقيكي، كنت بفضل واقف اتفرج عليكي من بعيد بشوفك وأنتِ سرحانة وأنتِ بتضحكي وأنتِ دبلانة وأنتِ بتعيطي وأنتِ الهوا بيطير شعرك ويلعب بمشاعرك، فريدة أنا كنت معاكي طول الفترة اللي فاتت وعمري ما غيبت عنك، متمشيش يا فريدة خليكي أنا اللي همشي..

شعرت أنني أتنفس، ف منذ غيابه وكل الاشياء غائبة، لن أسمح لأحد أن يزيل آثار ندبات قلبي سوى حُبك..

مر أسبوعين على أخر مرة رأيته فيها، غدًا هو أول يوم من أيام المعرض وسوف تنزل روايتي فيه، أشعر بالخوف أريده بجانبي الآن..

_المفروض تكوني فرحانة..

_تفتكري هتنجح؟

_هتنجح بس؟ دي هتكسر الدنيا.

_أنا خايفة وبعدين نادر مش معايا فأنا مش عارفة أفرح.

_أكيد هيجي بكرة.

_بجد؟ هو كلمك؟

_لا بس أنا حاسة.

_طيب متتأخريش عليا بكرة.

كنت خائفة ف دعوت الله كثيرا أن يحقق لي حلمي، غفوت في مكاني حتى صباح اليوم التالي، وصلتُ أنا وأمي وروان إلى المعرض، كل شيء كان على ما

يرام عدا قلبي فكان منشغل بنادر.

هاتفت روان وأخبرتها أنني سوف أحضر المعرض اليوم وأكدت عليها أن لا تخبر فريدة، كان اليوم هو أخر أمل لرجوعي أنا وفريدة، ارتديت القميص الذي أحضرته لي في عيد ميلادي فكانت المرة الأولى التي ارتديه فيها، نزلت من المنزل وكنت في طريقي إليهم وقبل أن أتحرك تحدثت مع روان وأخبرتني بما حدث منذ وصولهم.

كنت على وشك البكاء حتى سمعت صوته من خلفي يقول:

_مكنش ينفع تحضري نجاحك لوحدك.

_أنت إيه اللي جابك هنا؟

_نعم؟

"كنت سأقوم بالرد عليه ولكن قاطع حديثنا مجيئه"

_فريدة

"انتبهنا جميعًا أنا ونادر وأمي وروان إلى مصدر الصوت"

_يوسف!!

_مبروك على النجاح لسا زي ما أنتِ، عاملة ايه؟

_أنا كويسة، نسيت أعرفك دكتور نادر خطيبي..

_خطيبك؟

"رد عليه نادر قائلًا"

_وقريب هبقى جوزها بإذن الله في حاجة؟

_لاء مفيش حاجة أنا بس كنت عايزك في حاجة يا فريدة، بس الظاهر إني جيتلك في وقت مش مناسب.

_هو الظاهر إنك نسيت يا يوسف أن أي حاجة بيني وبينك مش هتبقى مناسبة..

"نظر إليّ بغضب ثم رحل، تجاهلت نظرات نادر إليّ، كنت اشعر بالفرحة والنجاح، أريد أن أبكي من فرط السعادة، نظر لي نادر فجأة ثم قال:

_فريدة هو أنتِ كنتِ قاصدة الكلام اللي قلتيه ولا كنتِ بتقوليه وخلاص؟

_كلام ايه؟

_أني خطيبك.

_نادر هو ده القميص اللي أنا جبتهولك صح؟

_ايوا هواا...

_طيب حط إيدك في جيبك كدة واقرأ الورقة اللي فيه.

"قالت كلماتها الاخيرة وهي تبتسم ابتسامة صافية، أخرجت الورقة من جيبي وقمت بفتحها كي اقرأ ما فيها"

'خلقت منك، فما أنا إلا تكملة لك ولأضلعك، وما أنت إلا جزء مني ومن تكويني، وما نحن إلا وطن يكتمل بالأخر، فكنت لي شهيقي وكنت لك زفيرك'.

"تمت بحمد الله"